جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

منهجُ الإمام أبي السعود في تفسيره المسمى

[إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم]

الدكتور

خالد سعيد أحمد البسيوني

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزلَ على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيد الخلق، وحبيب الحق محمد (ﷺ)، صاحب الرسالة العظمى، والهداية الكبرى، والمبعوث رحمة للعالمين.

المختص من بين الأنبياء والمرسلين بأفضل ما عرفه البشر، على طول الزمان والمكان. القرآن الكريم، كلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وبعد ،

فإنَّ خيرَ ما يشتغل به العلماء والباحثون هو النظر في كتاب الله – تعالى– لاستخراج كنوزه، وبيان إعجازه، وإظهار مسائله من فقه وأصول، ولغة، وبلاغة، وعقيدة إلى آخر تلك الوجوه.

وإنَّ من بين هؤلاء العلماء عالماً جليلَ القدر، عظيمَ المنزلة، لقبه مادحوه بشيخ الإسلام(١) وخطيب المفسرين..(٢) لم يبرح الحياة حتى ترك تفسيراً تتحاكى به الأزمنة، وتنهل منه العقول والأفئدة، ذاك هو الإمام أبو السعود (رحمه الله).

---

(١) ممن ينقل كثيراً من تفسير الإمام أبي السعود الإمامُ الألوسي في تفسيره روح المعاني ولا يلقبه إلا بشيخ الإسلام (ينظر مواضع من تفسير روح المعاني ١– ٣٤، ١٧ – ٣. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت).

(٢) ينظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٨٢. لـ/ أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي. ط/ مطبعة دار السعادة – مصر – ط ١ ١٣٢٤ هـ.

والحق يقال: إنَّ تناول تفسير الإمام أبي السعود سواء منهجاً أو تحقيقاً ودراسة.. ليس بالأمر الهيِّن، إذْ يعد هذا الإمام في مصافِّ العلماء الجهابذة، الذي يحتاج غالب تفسيره إلى نظر وتأمل للوقوف على عباراته التفسيرية، يقول الشيخ أبو شهبة (رحمه الله): "وأساليبه في تفسيره فيها شيءٌ كثيرٌ من العمق والدقة اللذين يبدُوَان في نظر القارئين له لوناً من ألوان التعقيد والغموض والإغراب" هـ(١).

الدراسات السابقة:

حظي تفسير الإرشاد بجهود كثيرة من العلماء والباحثين لتقريب عباراته، وكشف ما قد يكتنفها من غموض، وتتميز هذه الجهود بالتنوع حسب تخصص الباحثين، فمن ذلك رسالة بعنوان: **(البلاغة في تفسير أبي السعود،** لـ / د: **الشحات محمد عبد الرحمن،** وهي رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، بتاريخ ١٩٨٤م. ومنها ما يهتم بالمسائل النحوية مثل: **(أبو السعود ومنهجه في النحو من خلال تفسيره: إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم: الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم نموذجاً).** وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية الجامعة الأردنية (عمان، الأردن)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية. بتاريخ ٢٠٠٦م للباحث: **عماد أحمد زبن**– إشراف: د / **ياسين عايش خليل.**

وكذلك **(بلاغة الالتفات في تفسير أبي السعود)** للباحث: فادي الشامي، وهي رسالة ماجستير بالجامعة الأردنية، بتاريخ: ٢٠٠٨م. إشراف: د / **أحمد نوفل.**

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٤٣. للشيخ / أبي شهبة، ط: مكتبة السنة، – القاهرة – ط– ٤، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

ومنها ما يتناول الدخيل مثل **(الدخيل في تفسير أبي السعود)** لـ/د: **حسين محمد إبراهيم محمد** – أصول الدين القاهرة، شراف أ. د/**محمد عبد المنعم القيعي.**

وكذلك **(الدخيل في تفسير أبي السعود العمادي المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: تحقيق ودراسة من أوله إلى آخر سورة التوبة)** للأستاذة: **بدرية صالح علي الغصون،** وهي رسالة ماجستير، كلية التربية بالرياض، ١٤٠٩هـ. إشراف: د/ **جلال الدين عبد الباقي.**

ومنها ما يهتم باستعراض منهج الإمام أبي السعود في تفسيره بوجه عام، مثل **(منهج أبي السعود في تفسير القرآن)** للباحث / **أحمد عزت محمد الزيات،** وهي رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، بتاريخ ١٩٩١م.

ومنها **(أبو السعود ومنهجه في تفسيره)** (رسالة ماجستير) للباحث: **بابكر البلولة محمد.** بتاريخ: ١٤٠٩هـ كلية أصول الدين، جامعة أم درمان بالسودان. إشراف د / **جمعة سهل.**

وكذلك **(منهج أبي السعود العمادي في التفسير)** للباحث: **إسماعيل أوزدنج إبراهيم،** وهي رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، بتاريخ ١٩٧٨م.

وكذلك **(العلامة أبو السعود ومنهجه في التفسير)** وهي رسالة دكتوراه لـ/د: **أسامة أحمد منصور مؤمن،** كلية أصول الدين القاهرة، بتاريخ /١٩٩٩م، إشراف أ. د/ **إبراهيم عبد الرحمن خليفة.**

إلى غير ذلك من الرسائل وكتب مناهج المفسرين التي تناولت التعريف بصاحب هذا التفسير ومنهجه فيه.

وإنَّ مما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام ما قام به بعض العلماء من وضع الحواشي على هذ التفسير، وذلك كحاشية: **أحمد بن محمد الآقحصاري الرومي الحنفي** ت١٠٤٣هـ.

وحاشية **أبي عبد الله محمد بن عبد الله التونسي القاضي** المعروف بالزيتونة المالكي ت ١١٣٨هـ، له حاشية في خمسة وعشرين مجلداً أسماها، مطالع السعود وفتح الودود على تفسير أبي السعود.

وحاشية إبراهيم بن علي السقا ت١٢٩٨هـ. لم تتم ومنها ستة أجزاء مخطوطة في الأزهرية، ويتولى الباحثون في جامعة الأزهر الآن تحقيق هذه المخطوطة في عدة رسائل علمية بكلية أصول الدين بطنطا.

ومنها حاشية: **خالد بن السيد محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي الحلبي** ت ١٠٢٤هـ.

ويتبين من هذه الجهود على كثرتها وتنوعها القيمة العلمية لهذا التفسير..

ولما كان الأمر كذلك فقد أحببت أن أنهل من هذا التفسير مثل غيري من الباحثين.. خاصة وأن هذا التفسير من كتب التراث، والتي لا بد أن يُحكمها الباحث نظراً، وبحثاً؛ مما يكون سبباً في ثَقْل النواحي العلمية.

ولا شك أن دراسة المنهج أوسع وأشمل، ومن ثم اخترت هذا الموضوع بهذا العنوان السابق ذكره لتكون الفائدة أكثر.

وقد حاولت في هذا البحث أن تكون النماذج المذكورة غير التي ذكرت في الرسائل آنفة الذكر. مع الاستفادة ببعض ما وقع تحت يدي منها حتى لا يكون الأمر تكراراً فقط..

وعلى العلات فتلك – بعد عون الله وتوفيقه – محاولة للتعرف على منهج الإمام أبي السعود في تفسيره في صورة موجزة..

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نبذة عن حياة الإمام أبي السعود.

المبحث الثاني: تعريف المنهج.

المبحث الثالث: منهج الإمام أبي السعود في تفسيره.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: علوم القرآن في تفسير الإرشاد.

المطلب الثاني: المنهج الفقهي للإمام أبي السعود في تفسيره.

المطلب الثالث: منهج الإمام أبي السعود في بعض المسائل العقائدية.

المطلب الرابع: الإسرائيليات وموقف الإمام أبي السعود منها.

المطلب الخامس: اللغة والبلاغة في تفسير الإمام أبي السعود.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.

والله أسأل التوفيق والسداد، فإنه (ﷻ) نعم المولى ونعم النصير

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الأول

نبذة عن حياة الإمام أبي السعود

بادئ ذي بدء فإن ترجمة الإمام أبي السعود وإن كانت قد توافرت فيما ذكره أصحاب الرسائل العلمية السابق ذكرها، إلا أنني آثرت الإشارة إليها، لما فيها من فوائد علمية وتربوية، وكذلك ما قد يستفاد منها في التعرف على بيان منهجه في تفسيره.

أولاً: اسم الإمام أبي السعود، ونسبه ومولده:

هو الإمام أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، العمادي، الحنفي من علماء الترك المستعربين، مفسر وشاعر، والعمادي أي المنسوب إلى العمادية؛ وهي مدينة مشهورة في بلاد الأكراد(١) والحنفي نسبة لمذهبه الفقهي.(٢)

وقد اختلفت المصادر في تاريخ ولادته فبعضها يذكر أنَّ ولادته ٨٩٨هـ وبعضها٨٩٦ هـ، وبعضها ٨٩٣ هـ، إلى غير ذلك، ولينظر القارئ الكريم

(١) كانت العمادية حصناً عظيماً خراباً، فلما عمَّره عماد الدين زنكي سمي العمادية نسبة إليه. ينظر:(الكامل في التاريخ ٩ – ١٢٤، لابن الأثير، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت – الطبعة – الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م).

(٢) ينظر ترجمته في: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ – ٣٩٨، لـ/ ابن العماد الحنبلي، ط/ دار ابن كثير – دمشق – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ٣– ٣١. لـ/ النجم الغزي (ت ١٠٦١هـ). ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – ط/ ١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م)، وديوان الإسلام ٣ – ٣٠ لـ/أبي المعالي بن الغزي (ت ١١٦٧هـ) والأعلام للزركلي ٧ – ٥٩. ط/ دار العلم للملايين، ط/١٥ – ٢٠٠٢ م).

تحقيق هذا الأمر في هامش الصفحة إنْ شاء.([1])

(١) عند ترجمتي للإمام أبي السعود وجدت اختلافاً ليس بالقليل في سنة ولادته يكاد يكون من الصعب الجمع بين ما قيل في ذلك، كما لم أجد من العلماء والباحثين – على حدٍّ علمي– من تعرض لترجيح سنة ولادة الإمام أبي السعود سوى قولهم: ولد سنة كذا، وقيل سنة كذا. . ، فبينما يذهب أ. د الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون"١ – ٢٤٥. مكتبة وهبة – القاهرة – ط ٧–١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م"، وكذلك الشيخ أبو شهبة في كتابه "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٤٩" إلى أنَّ سنة ولادة الإمام أبي السعود هو **٨٩٣ هـ (ثمانمائة وثلاث وتسعون من الهجرة)** نجد الشوكاني في كتابه "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١ – ٢٦١. ط / دار المعرفة – بيروت "يذكر تاريخ ولادته بأنه **٩٠٠هـ (تسعمائة من الهجرة)**، وفي كتاب "أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون ١ – ٣٢ (ط/ دار الفكر – دمشق، ط/ ٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) لرياض زادة، وكذلك "طبقات المفسرين ١ – ٣٩٨. ط/ مكتبة العلوم والحكم – السعودية – ط/ ١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م "للأدنروي، نجد أن سنة ولادته **٨٩٦هـ (ثمانمائة وست وتسعين من الهجرة)** أمَّا في كتاب الأعلام "٧– ٥٩. "للزركلي، وكتاب معجم المؤلفين "١١ – ٣٠١ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت "لرضا كحالة، وكتاب شذرات الذهب "٨ – ٣٩٨ "لابن العماد، وكتاب العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم لـ/ علي بن بالي "ص ٤٤٠ "على ذيل كتاب الشقائق النعمانية لـ/ طاش كبرى زادة ط / دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م"، نجد أن سنة ولادة الإمام أبي السعود **٨٩٨ هـ (ثمانمائة وثمانية وتسعين من الهجرة)**، ولا أدري في الحقيقة ما سبب هذا الاختلاف، ومما يزيد الأمر حيرة هو ما ذكره الدكتور الذهبي، والشيخ أبو شهبة، واتفاقهما علىأن سنة ولادة الإمام أبي السعود **٨٩٣ هـ**، وقد أحال الدكتور الذهبي في ترجمته للإمام أبي السعود على كتاب العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم لـ/ علي بن بالي، وبالرجوع إليه تبيَّن أن سنة ولادة الإمام أبي السعود **٨٩٨ هـ**. =

ثانياً: رحلته في طلب العلم، وما تقلده من مناصب:

نشأ الإمام أبو السعود (رحمه الله) في بيت عُرف أهله بالعلم والفضل حتى قال بعضهم فيه: تَربَّى في حجر العلم حتى رَبَى، وارتضع ثدي الفضل إلى أن ترعرع وحَبَا، ولا زال يخدم العلوم الشريفة حتى رحب باعه، وامتد ساعده واشتد اتساعه..

قرأ كثيراً من كتب العلم على والده، وتتلمذ لكثير من جلَّة العلماء، فاستفاد منهم علماً جمّاً، ثم طارت سمعته، وفاضت شهرته، وعظم صيته..

وتولى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم قُلِّد قضاء بروسة(١) ثم نُقل إلى قضاء القسطنطينية، ثم نُقل إلى قضاء ولاية العسكر في ولاية روم

= وإذا كان لا بُدَّ من الاحتكام إلى أحد هذه الأقوال فإني أرجح القول الأخير منها أي القائل بأن الإمام أبا السعود ولد سنة ٨٩٨ هـ **(ثمانمائة وثمانية وتسعين من الهجرة)**. ويرجح ذلك:

أولاً: أنَّ صاحب شذرات الذهب والمتوفى سنة **١٠٨٩هـ** نصَّ علي ما ذكره علي بن بالي – المتوفى **٩٩٢ هـ** أي بعد وفاة الإمام أبي السعود بعشر سنين – في كتابه العقد المنظوم من أنَّ الإمام أبا السعود ولد **٨٩٨ هـ** ، ولم يأخذ صاحب الشذرات بما ذكره صاحب كتاب أسماء الكتب وهو رياض زادة المتوفى **١٠٧٨ هـ** والقائل بأن سنة ولادة الإمام أبي السعود **٨٩٦ هـ** مما يدلُّ على أنَّ صاحب الشذرات أخذ بما هو أقرب زمناً من أصحاب التراجم للإمام أبي السعود.

ثانياً: لم تبين المصادر الأخرى أيَّ مرجع أخذت منه على وجه التحديد، كما لم تنبه إلى هذا الاختلاف في سنة ولادة الإمام أبي السعود، مما يجعلنا في حل من المذكور فيها إلا إذا تبين غير ذلك. والله أعلم.

(١) تعرف الآن بـ "بورصة" وهي في الشمال الغربي لتركيا المعاصرة. (ينظر: تحقيق: أ / محمود الأرناؤوط، على شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ – ٣٢٦.

أيلى([1])، ودام على قضائها مدة ثمان سنين، ثم تولى أمر الفتوى بعد ذلك، فقام بها خير قيام بعد أن اضطرب أمرها بانتقالها من يد إلى يد، وكان ذلك سنة ٩٥٢هـ ومكث في منصبالإفتاء نحواً من ثلاثين سنة أظهر فيها الدقة العلمية التامة، والبراعة في الفتوى والتفنن فيها.([2])

ثالثاً: عصْر الإمام أبي السعود.

عاصر الإمام أبو السعود (رحمه الله) أربعة من سلاطين الدولة العثمانية([3]) وهم:

١- بايزيد بن السلطان محمد الفاتح (ت ٩١٨ هـ).([4])

---

(١) اسم قلعة بناها السلطان محمد الفاتح على مضيق البسفور وكانت منطلق فتحه للقسطنطينية (ينظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ص ٩٢. لـ/ علي محمد محمد الصلابي. ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة، مصر – ط ١ – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م)

(٢) ينظر: العقد المنظوم لعلي بن بالي، على ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لـ/ طاشكبرى زادة ص ٤٤٠، والتفسير والمفسرون ١- ٢٤٥.

(٣) تعود تسمية الدولة العثمانية بهذا الاسم نسبة إلى عثمان بن أرطغرل، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية توفي سنة ٧٢٦هـ. (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٤ – ٧٢. لـ/ عبد الملك العصامي المكي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ط/١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م).

(٤) كان بايزيد بن السلطان محمد الفاتح محباً للعلماء والمشايخ والأولياء ،. . وفي عهده سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس. . (ينظر: شذرات الذهب ٨ – ٨٦، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٤ –٨٠، وتاريخ الدولة العلية العثمانية ١ – ١٧٩. لـ/: محمد فريد (بك) ط/ دار النفائس، بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٤٠١ هـ– ١٩٨١م. ودولة الإسلام في الأندلس ٥ – ٤٩٣. لـ/ محمد عبد الله عنان. ط/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/ ٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٢- سليم الأول بن بايزيد (ت ٩٢٦هـ).([1])

٣- سليمان بن سليم الأول الملقب بـ(سليمان القانون)(ت ٩٧٤هـ).([2])

٤- سليم الثاني بن سليمان بن سليم الأول، وكانت وفاته عام٩٨٢هـ وهو العام الذي توفي فيه الإمام أبوالسعود.([3])

ويغلب على فترة حكم هؤلاء السلاطين توطيد أركان الدولة العثمانية وكثرة الحروب والفتوحات لبلاد كثيرة في الشرق والغرب، وبلغت الدولة أوج انتصاراتها واستقرارها في عهد سليمان القانون، ودبَّ إليها الضعف منذ تولى سليم الثاني.

وقد سجل الإمام أبو سعود تفسيره في فترة حكم سليمان القانون وإنْ كان عزمه على تنفيذه قبل ذلك بكثير في عهد السلطان سليم الأول، كما ذكر ذلك الإمام أبو السعود في مقدمة تفسيره([4]).

---

(١) من أهم ما قام به سليم الأول بن بايزيد، مواجهته للصفويين والمماليك. وانتصاره عليهما. (ينظر: الدولة العثمانية "عوامل النهوض وأسباب السقوط"١ – ١٧٦).

(٢) عُرف عند الغرب باسم سليمان العظيم وفي الشرق باسم سليمان القانوني لأنه قام بإصلاح في النظام القضائي العثماني والقانون الجنائي، وقد اتجه بفتوحاته نحو الغرب. . (ينظر: الكواكب السائرة ٣ – ١٤٠، وسمط النجوم العوالي ٤ – ٨٥، وتاريخ الدولة العلية العثمانية ١ – ١٩٨).

(٣) يتفق المؤرخون على أنَّ عظمة الدولة العثمانية قد انتهت بوفاة السلطان العثماني سليمان القانوني، ولم يكن سليم الثاني مؤهلاً لحفظ فتوحات والده السلطان سليمان. . ورغم ذلك فانَّ الدارس للدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الثاني يدرك أنَّ هذه الدولة كانت تتمتع بقوة وهيمنة، وإنْ لم تبلغ ما بلغت من قبل. . (ينظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ١ – ٢٧٧ و تاريخ الدولة العلية العثمانية ١ – ٢٥٣).

(٤) مقدمة تفسير الإمام أبي السعود ١ – ٥. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون.

رابعاً: شيوخه:

تتلمذ الإمام أبو السعود لكثير من جلَّة العلماء، فاستفاد منهم علماً جمّاً، منهم:

أبوه الشيخ محمد بن مصطفى العمادي(١)، وعيسى بن أمير خان الأمير الفاضل، المعروف بسعدي جلبي(٢) ومحمد بن مصطفى القوجوي المشهور بـ/ شيخ زادة(٣).

خامساً: تلاميذه:

من تلاميذ الإمام أبي السعود: ابنه: أحمد بن أبي السعود(٤) ومحمد بن

---

(١) قرأ عليه الإمام أبو السعود شرح المواقف للشريف الجرجاني وهو شرح كتاب "المواقف" لعضد الدين الإيجي. وكذلك قرأ عليه شرح المفتاح للشريف أيضاً، وكذلك حاشية التجريد للشريف الجرجاني في علم الكلام. ويطلق على حاشية التجريد للجرجاني أيضاً اسم "حاشية على تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد" أما شرح تجريد العقائد فهو لـ/ شمس الدين الأصفهانى، وأما التجريد فهو كتاب العقائد لـ/ نصر الدين الطوسي. (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢ – ١٩٧. للإمام السيوطي، ط/ المكتبة العصرية – صيدا – لبنان، والأعلام ٧ – ٨٧، وشذرات الذهب ٨ – ٣٩٥، والشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ١ – ٤٤٠).

(٢) له رسائل وتعليقات، وكتَب حواشي مفيدة على تفسير البيضاوي، وتوفي سنة خمس وأربعين وتسعمائة. (الكواكب السائرة ٢ – ٢٣٥. وشذرات الذهب ٨ – ٣٩٥).

(٣) مات في سنة خمسين وتسعمائة، له حواشي على البيضاوي جامعة لما تقرر من الفوائد، في كتب التفسير. (الكواكب السائرة ٢ – ٥٨، وشذرات الذهب ٨ – ٢٨٣، ومعجم المؤلفين ١٢ – ٣٢).

(٤) توفاه الله إلى رحمته، في حياة والده. يقول عنه صاحب كتاب: الطبقات السنية: "رأيت من حفظه، وذكائه، ما أدهشني وحيرني، . . وكان يحفظ "مقامات الحريري". وهذه المقامات لـ / أبي محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري البصري (ت ٥١٦ هـ)=

حسن السعودي(١) وأحمد بن حسن بن عبد المحسن الرومي(٢)

سادساً: مؤلفاته العلمية.

لم يترك الإمام أبو السعود كثيراً من المؤلفات؛ بسبب المناصب التي تولاها.

وقد أشار (رحمه الله) في مقدمة تفسيره ما كان يعانيه من كثرة المشاغل المتصلة بالفتوى، وأمور القضاء.. ومن مؤلفاته:

١- تحفة الطلابفي المناظرة.

٢- رسالة في المسح على الخفين.

٣- قصة هاروت وماروت.

٤- مجالس في التفسير.

=ونسبته إلى عمل الحرير أو بيعه. وهذه المقامات الحريرية عبارة عن قصص خيالية من بنات أفكاره ابتدعها وملأها بالحكايات التي نوعها وفرعها ووشاها بالملح، وأتى فيها بالمعنى الدقيق للفظ الرقيق، حتى أصبحت هامة على تاج الفن الأدبي في اللغة العربية في عصره. (الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١ – ٩٣. لـ/ تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي، ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م، والبديع عند الحريري١– ٢٩٣. لـ/ محمد بيلو أحمد، ط/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٠هـ).

(١) يقول عنه صاحب الكواكب السائرة: "اختصصت بصحبته في تفسير أبي السعود، فأخذته عنه فناولني نسخة منه وأجازني بسائره، وبسائر ما يجوز له وعنه روايته، . . توفي في أوائل سنة ٩٩٩ هـ". (الكواكب السائرة ٣ – ٥٠).

(٢) ولد في حدود الستين من المائة العاشرة. أخذ الفقه وغيره، عن الإمام أبي السعود العمادي. . ، توفي سنة خمس وتسعين وتسعمائة. (الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١ – ٩٨).

٥- رساله في التوحيد.

٦- قصيدة ميمية في الغزل. ومطلعها:

أبعد سليمى مطـــــــلب ومرام * وغير هواهـــــــــا لوعة وغرام

وفوق حماها ملجأ ومثابـــــــة * ودون ذراها موقـــــــــف ومقام

ومنها أيضاً:

فما كل قيل قيل علـــــم وحكمة * وما كـــــــــل أفراد الحديد حسام

فللدهر تارات تمر علـــى الورى * نعيم وبؤس صحة وسقـــــــام([1])

٧- حاشيه على المطول.

٨- تعليقات على كتاب الهداية([2]).

٩- لباب اللباب في تأويل الكتاب.

١٠- تفسيره: إرشاد العقل السليم في مزايا الكتاب الكريم.([3])

---

(١) ساق منها الكثير صاحب العقد المنظوم (على ذيل الشقائق النعمانيـــة ص ٤٤٠) عنـــد رجمته للإمام أبي السعود.

(٢) مؤلف (كتاب الهداية) برهان الدين أبو الحسن على بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني (ت ٥٩٣) ذاع صيته بتأليف كتاب بداية المبتدي مع شرحه المسمى بالهداية في الفقه الحنفي. (معجم المطبوعات العربيـــة والمعربـــة ٢ – ١٧٣٩: لـــــ/ يوســـف بن إليان بن موسى سركيس (ت ١٣٥١هـــ) ط/ مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـــ – ١٩٢٨ م.

(٣) ينظر هذه المؤلفات في: الأعلام ٧ – ٥٩، ومعجـــم المـــؤلفين ١١ – ٣٠٢، وخزانـــة التراث – فهرس مخطوطات، قام بإصداره مركز الملـــك فيـــصل، المملكـــة العربيـــة السعودية ١٤١٣هـــ – ١٩٩٢ م. ينظر فيها المواضع التالية: ٣ – ٦٠ رقـــم: ٢١٧٦، ١٩ – ٩٧٧ رقم: ١٨٢٢١، ٤٠ – ٥٣١ رقم: ٣٩٢٩٣، ٧٢ – ٧٦٧ رقـــم: ٧٣٦٨٨، ٧٥ – ٦٢٩ رقم: ٧٦٦٢١، ٨٣ – ٣٧١ رقم: ٨٤٥٧٧.

إلى غير ذلك من مؤلفات الإمام أبي السعود.

سابعاً: وفاة الإمام أبي السعود، وثناء العلماء عليه.

توفى (رحمه الله) بمدينة القسطنطينية، ودفن بجوار أبي أيوب الانصاري (رضي الله عنه)، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ٩٨٢ هـ (اثنتين وثمانين وتسعمائة من الهجرة). فرحمة الله رحمة واسعة.([1]).

وقد أثنى عليه الكثير من العلماء، يقول فيه صاحب كتاب (طبقات المفسرين): "هو الدِّين والدنيا هو اللفظ والمعنى هو الغاية القصوى هو الذروة العليا سلطان المفسرين مقدمة جيش المتأخرين مفتي الأنام مفني البدع والآثام صاحب أذيال الإفضال والإسعاد..." هـ([2]).

ويثني عليه الإمام محمد بن علي الشوكاني فيقول: "برع في جميع الفنون وفاق الأقران... وتناهت عظمته في الممالك الرومية وصار المرجع في جميع ما يتعلق بالعلم"([3]).

ولم يكن صاحب العقد المنظوم بأقل منهما مدحاً وثناء على هذا الإمام العظيم وفيه يقول -: ".. كان (رحمه الله) من الذين قعدوامن الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها وضربت له نوبة الامتياز في مشارق الأرض ومغاربها تفرد في ميدان فضله فلم يجاره أحد وضاقت عن إحاطته صدور الحصر والحد...

---

(١) تكاد تجمع كتب التراجم على أنَّ وفاة الإمام أبي السعود كانت في سنة ٩٨٢ هـ. (ينظر في ذلك على سبيل المثال: العقد المنظوم على ذيل كتاب الشقائق النعمانية ص٤٤٣، والكواكب السائرة ٣ – ٣٣، وكشف الظنون ٢ –٢٠٢٢. وخالف صاحب الشذرات٨– ٣٩٨ فذكر أنَّ وفاته سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة من الهجرة!

(٢) طبقات المفسرين ١ – ٣٩٨ – للأدنروي.

(٣) البدر الطالع ١ – ٢٦١.

ورثاه بعضهم فقال:

"قد كنت بحراً للشريعة لم تزل * تلقى لنادر الكـــــــــــلام عجاب

ما العلم الا ما حويت حقيقـــــة * وعلوم غيرك في الفلا كسراب([1])

وبعد هذا المبحث الأول الذي تناولت فيه اسم الإمام أبي السعود، وعصره.. إلى آخر ذلك، فإنَّ من اللازم ذكره الآن هو بيان معنى المنهج في اللغة والاصطلاح، ليكون ذلك عوناً على التعرف على منهج الإمام أبي السعود في تفسيره.

(١) ينظر: العقد المنظوم (على ذيل الشقائق النعمانية ١ / ٤٣٩، ٤٥٤).

المبحث الثاني

معنى المنهج من حيث اللغة والاصطلاح.

أقول وبالله التوفيق:

المنهج لغة: الطريق الواضح قال ابنُ منظور: نهج: طريق، بيِّن واضح والجمع نهجات ونهج ونهوج، والمنهاج: الطريق الواضح واستنهج الطريق: صار نهجاً.. ونهجت الطريق: أبنته وأوضحته يقال: اعمل على ما نهجته لك..(١).

وعلى ذلك التعريف اللغوي للمنهج فإنَّ قولنا: منهج فلان في التفسير يعني الطريقة التي وضعها واتبعها، أو وضعها غيره واتبعها هو.

هذا من الناحية اللغوية فإذا ما اتجهنا إلى بيان معنى المنهج من ناحية الاصطلاح فإنَّ لنا نظرتين في ذلك:

أولاً: أنْ ننظر إلى المنهج من حيث العموم دون تخصيصه بمادة واحدة.

والمنهج من هذه الحيثية يعني خطوطاً رئيسية يأخذ بها كلُّ باحث، ثم يمزج بها بحسب اهتماماته الخاصة ما يراه محققاً لغرضٍ ينشده طالبُ المعرفة من كتابه إذا عرفه.

فمثلاً المنهج العام للتفسير: هو تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة.. – الخ – فهذه هي الخطوط الرئيسية ثم تبرز في التفسير ظاهرة التوسع في وجوه

---

(١) لسان العرب (مادة نهج ٦-٤٥٥٤). لـ/ ابن منظور– ط–دار صادر–بيروت– الثالثة ١٤١٤هـ، والمعجم الوسيط مادة نهج. مجمع اللغة العربية – مطبعة مصر – القاهرة، ط ٣ – ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

الإعراب ومعانيها مِمَّن يهتم بذلك ويريد تقديمه لمن يهمه، أو تبرز الوجهة البيانية أو الاجتماعية أو الفلسفية أو الصوفية وهكذا...

وإذا أردنا أنْ نضع تعريفاً اصطلاحياً للمنهج من هذه الحيثية سنجد أنَّ كتب علم المناهج لم تعط تعريفاً لمنهج أو مناهج إلا في إطار ما اعتنوا به وهو إطار العلوم التطبيقية وما إليها كالطبيعة والأحياء والتاريخ..

ومع ذلك نسوق نصَّاً ونستفيد به في هذا المقام فنقول: أصبح تعريف مصطلح المنهج عندهم هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"(١).

وواضح أنَّ هذا تعريف لمصطلح (المنهج) عموماً، وفي ضوئه نعرف خصوص منهج التفسير عموماً وهو: تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة... الخ.

ثانياً: أنْ ننظر إلى المنهج على اعتبار أنَّ التفسير خاص بفلان أو بزمن أو نحو ذلك فإنَّ تعريف المنهج اصطلاحاً – أي منهج التفسير على ذلك – هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن معاني القرآن الكريم وهو مقارنة بعضه ببعض والنظر في السنة وأقوال الصحابة والتابعين واستخدام القواعد الشرعية والعربية الموصلة إلى الكشف المطلوب واستخدام علوم الطبيعة والطب – ونحوها – المؤدية إلى التوسع في فهم القرآن مضافاً إلى ما سبق من فهم وتفسير واستخدام الفكر المستقيم.

أمَّا عن تعريف منهج فلان في التفسير فنقول مثلاً: "هو الطريق الذي سلكه وأدّى به إلى الكشف عن معاني القرآن الكريم وهو مقارنته بعض القرآن

(١) أصول البحث العلمي ومناهجه ص ٣٣. د/ أحمد بدر – ط/ دار القلم – بيروت – ط٧ – ١٩٨٤م.

ببعض ونظره في السنة وأقوال الصحابة والتابعين واستخدامه القواعد الشرعية والعربية على الوجه المخصوص الذي يوصله إلى مطلوبه، واستخدامه علوم الطبيعة والطب – ونحوها فيما يفيد استخدامها فيه متوسعاً في فهم القرآن مضيفاً لذلك إلى ما سبقه من فهمٍ وتفسير، واستخدامه لفكرة جاءت من فيض الله – تعالى – الذي يؤتي الحكمة من يشاء ولا حدود لبحور حكمته.

وعلى إثْرِ ذلك نقول: إذا اقتصر فلان في تفسيره على بيان المفردات مثلاً، قلنا: إن منهجه بيان المفردات في مواضعها من السور – أو مرتبةً ترتيباً أبجدياً – مع الاستشهاد عليها أو عدمه – نقول ما يعبر عن الحالة. وإذا زاد عنصراً فعالاً – أو بطَّالاً – ذكرناه في تعريف منهجه، ويقاس على ذلك تعريفات المناهج الخاصة في التفسير"(١).

ويتضح من ذلك أنَّ المنهج (أو الطريقة) لا ينبغي اعتباره كهدف في ذاته، ولكنه مجرد وسيلة لتحقيق الهدف أو الغرض(٢).

وعندما نريد تحديد منهج فلان في التفسير فلأجل معرفة كيفية توصله للكشف عن المعنى – بقدر الطاقة –.

ولكن ينطبق هذا الكلام السابق على تفسير الإمام أبي السعود لنعرف منهجه فيه فينبغي النظر فينماذج أخرى من التفاسير، والتي من خلالها نستطيع المقارنة بينها، لنحصل في نهاية الأمر على ما تميز به أصحابها فيها، وبالتالي توضيح وبيان المنهج الذي التزمه الإمام أبو السعود في تفسيره.

---

(١) ينظر: مناهج المفسرين ص٤٤– ٤٥. د/ عبد الغفور محمود مصطفى جعفر. الثانية يوليه٢٠٠٤م بدون ذكر المطبعة.

(٢) ينظر: أصول البحث العلمي ومناهجه ص ٢٥٠.

ومن الواضح البين أنَّ هذه المقارنة ستكون بين كتب التفاسير بالرأي، حسب ما هو بيِّن وواضح من تصنيف تفسير الإرشاد من هذا القبيل.

وإذا كان الأمر كذلك فما هي شروط التفسير بالرأي؟

ينقل لنا الإمام السيوطي في إتقانه(١) عن الإمام الزركشي في برهانه(٢) خلاصة الشروط التي لا بد منها لإباحة التفسير بالرأي، وهي:

"**أولاً:** النقل عن رسول الله (ﷺ) مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

ثانياً: الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل: إنه في حكم المرفوع مطلقاً، وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

ثالثاً: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

رابعاً: الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع. وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي (ﷺ) لابن عباس في قوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل(٣)".

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤ – ٢٠٧. ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢ – ١٥٦. ط/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه – القاهرة، ط: ١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب معرفة الصحابة (ﷺ)، ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (رضي الله عنهما) حديث رقم:٦٢٨٠. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١١ – ١٩٩٠م (والحديث صححه الذهبي) والحديث في صحيح البخاري (كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عباس (ﷺ)) بدون لفظ: "وعلمه التأويل"

وإذا استعرضنا هذه الشروط وطبقناها على بعض التفاسير، ومنها تفسير الإمام أبي السعود، فسنجد أنَّ "أشهر التفاسير التي تتوافر فيها هذه الشروط تفسير الرازي المسمى "مفاتيح الغيب" وتفسير البيضاوي المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ويدخل معهما تفسير الإمام أبي السعود، وكذلك تفسير الإمام النسفي المسمى "مدارك التنزيل، وحقائق التأويل" وتفسير الخازن المسمى "لباب التأويل في معاني التنزيل".

والرازي في تفسيره يسلك مسلك الحكماء الإلهيين في الاستدلالات الكلامية المنطقية، ويعنى ببحث الكونيات عناية خاصة ويقسم الآية أو الآيات التي يكون بصدد تفسيرها إلى عدد من المسائل، ثم يسترسل في تأويلها مدافعا عن عقيدة أهل السنة والجماعة.

والبيضاوي في تفسيره يُعنى بتقرير الأدلة على أصول أهل السنة، ولا يفوته التنبيه على قواعد اللغة.. وله حواش كثيرة أفضلها حاشية الشهاب الخفاجي.

أما الإمام أبو السعود فمع تقريره الأدلة على عقائد أهل السنة، يُعنى بتبيان المباحث المتعلقة بإعجاز القرآن، وأسلوبه في ذلك مشرق، وتذوقه للبلاغة القرآنية سليم.

وأمَّا النسفي فيعنيه بالدرجة الأولى الدفاع عن وجهة نظر أهل السنة والجماعة، والرد على أهل البدع والأهواء، وتفسيره جامع لوجوه الإعراب والقراءات، وفيه إشارات دائمة إلى روائع البلاغة القرآنية، في عبارة موجزة، بل شديدة الإيجاز. والخازن أخيراً على عنايته بالمأثور، لا يذكر أسانيده..(١)

(١) مباحث في علوم القرآن ١ –٢٩٣. لـ/ صبحي الصالح، ط/ دار العلم للملايين، ط: ٢٤، ٢٠٠٠ م.

هذا ما لاحظناه من خلال هذه المقارنة المنهجية لبعض التفاسير بالرأي ومنها تفسير الإرشاد.

وتبين أنَّ هذه التفسير يُعنى أوَّلاً وأخيراً بالنواحي البلاغية، والصور الجمالية التي تنطوي عليها عبارات القرآن الكريم.

يقول صاحب كتاب التفسير والمفسرون: "الحق أنَّ هذا التفسير غاية في بابه، ونهاية في حسن الصوغ وجمال التعبير، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية، بما لم يسبقه أحد إليه، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم، وشهد له كثير من العلماء بأنَّه خير ما كُتب في التفسير"(١).

ويبيِّنُ الشيخ أبو شهبة أهم ما يميز هذا التفسير بقوله: "إنه خال من الاستطرادات والتوسع في ذكر الأحكام الفقهية والنحوية، ويكاد يكون خالصاً للتفسير، وقد عني فيه عناية بالغة بإبراز وجوه البلاغة وأسرار الإعجاز في القرآن الكريم، ولا سيما في باب الفصل والوصل، ووجوه المناسبات بين الآيات، .."(٢).

وقد أوضح الإمام أبو السعود هذا المنهج الذي سلكه عند حديثه عن منهج المتقدمين من المفسرين ومنهج المتأخرين منهم، مع ثنائه الشديد على تفسيري الكشاف والبيضاوي وتمنيه عمل تفسير يجمع بينهما حيث قال (رحمه الله): "أمَّا المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام عليه شرائف التحية والسلام.

وأمَّا المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة وإبداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه.. فدونوا أسفاراً بارعة جامعة لفنون

(١) التفسير والمفسرون ١ –٢٤٧.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ١٤٣.

المحاسن الرائعة.. لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل فإنَّ كلا منهما قد أحرز قصب السبق أيَّ إحراز كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز.. ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما.. يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار أنْ أنظم درر فوائدهما في سِمْط دقيق(١) وأرتب غرر فرائدهماعلى ترتيب أنيق(٢) وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق.. على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل"(٣).

وقد حدث ما تمناه الإمام أبو السعود فألف تفسيره مع التزامه فيه بمذهب أهل السُّنَّة، والاحتراز الجيد مما اشتمل عليه الكشاف من مسائل اعتزالية.(٤)

وبعد هذه التقدمة لبيان معنى المنهج لغة واصطلاحا، وصلة ذلك بموضوع البحث فقد آن الأوان لدراسة منهج الإمام أبي السعود في تفسيره.

---

(١) السِّمْطُ: الخيط ما دام فيه الخَرَز وإلا فهو سِلْكٌ. (لسان العرب ٧ – ٣٢٢).

(٢) الفرائد، جمع فريدة وهي الجوهرةُ التي لا نظير لها، والفرائد في البديع الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد تدل على عظم فصاحة الكلام وجزالة منطقه وأصالة عربيته بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء ومنه لفظة حصحص في قوله **(الآن حصحص الحق)** [يوسف ٥١] وخائنة الأعين في قوله **(يعلم خائنة الأعين)** [غافر١٩].
(الكليات ص ١١٠٥. لأبى البقاء الكفوي. ط / مؤسسة الرسالة– بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).

(٣) مقدمة تفسير الإمام أبي السعود ١ – ٤. باختصار.

(٤) ينظر: التفسير والمفسرون ١ – ٢٤٨.

المبحث الثالث

منهج الإمام أبي السعود في تفسيره.

بادئ ذي بدء فقد سبق بيان أنَّ القسط الأكبر من تفسير الإمام أبي السعود هو المسائل البلاغية، والصور الجمالية، واستخراج المعاني الرائعة من الألفاظ والجمل القرآنية.. ولكن ذلك لن يمنع من النظر فيما يتصل بهذا التفسير من قريب أو بعيد من مطالب تتصل بعلوم القرآن، أو الفقه، أو العقيدة، حتى ما يتصل بالدخيل وهل تطرق إلى هذا التفسير شيء منه؟ إلى آخر تلك المطالب التي تعطينا الصورة كاملة لمنهج الإمام أبي السعود في تفسيره، بقدر الإمكان. ومع أول مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول

علوم القرآن في تفسير الإرشاد

لا شك أنَّ المفسر لا يمكن أن يبدأ تفسيره فضلاً عن السير فيه إلا بعد إلمامه وإتقانه لعلوم القرآن، وهي المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءاته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه.. ونحو ذلك([1]).

ومن خلال النماذج التالية سيرى القارئ الكريم مدى إلمام الإمام أبي السعود بهذا العلم ومدى الاستفادة منه في تفسيره.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن١-٢٧ الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني. ط/ عيسى البابي الحلبي – ط الثالثة (بدون).

* فمثلاً عند تفسيره للبسملة نجده يسوق أقوال الفقهاء في خلافهم حول البسملة وهل هي من القرآن أم لا؟ ثم يذكر أنَّ المشهور منها ثلاثة أقوال، وبعد ذلك يبدأ في الحكم عليها مراعياً كون البسملة قد رسمت في المصحف.

وها هو كلامه بإيجاز حول هذه المسألة: "بسم الله الرحمن الرحيم، اختلف الأئمة في شأن التسمية في أوائل السور الكريمة فقيل: إنها ليست من القرآن أصلاً وهو قول ابن مسعود (ﷺ) ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها. وقيل: إنها آية فذة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية. وقيل: هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب إلى ابن عمر أيضا (ﷺ)"([1]).

ثم ساق (رحمه الله) أقوالاً أخرى حول هذه المسألة ثم عاد فقال: "والمشهور من هذه الأقاويل هي الثلاث الأول. والاتفاق على إثباتها في المصاحف مع الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله (ﷻ) يقضي بنفي القول الأول وثبوت القدر المشترك بين الأخيرين من غير دلاله على خصوصية أحدهما فإن كونها جزءاً من القرآن لا يستدعي كونها جزءاً من كلٍّ سوره منه كما لا يستدعي كونها آية منفرده منه" هـ([2]).

ويؤخذ من هذا الكلام أنَّ الإمام أبا السعود لا يذهب مع القول بأن البسملة ليست من القرآن، وإنما هي منه بدلالة إثباتها في المصحف، والإجماع على أنَّ ما بين دفتي المصحف كلام الله.

---

(١) تفسير أبي السعود ١ – ٨.

(٢) تفسير أبي السعود ١ – ٩.

كما أنه لا يرى تعارضاً بين القولين الباقيين لوجود القدر المشترك بينهما وهوأنَّ البسملة جزء من القرآن سواء نزلت قرآناً للفصل والتبرك كما في القول الثاني أو نزلت قرآنا باعتبارها آية من كل سورة كما في القول الثالث.

ويؤخذ أيضاً أنَّ الإمام أبا السعود يذهب إلى أنَّ المشهور من مذهب قدماء الحنفيةهو أنَّ البسملة ليست من القرآن، ويذكر أنَّ الصحيح من مذهب الحنفية وهو أنَّ البسملة آية فذة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك.(١)

وبعد هذا النموذج من كلام الإمام أبي السعود حول البسملة، وما يستفاد من ذلك فإن القارئ الكريم لابد أن يتوقع ونحن بصدد الحديث عن علوم القرآن وصلة ذلك بتفسير إرشاد العقل السليم أن نسوق إليه موقف الإمام أبي السعود من الحروف المقطعة التي تلي البسملة في عديد من السور نظراً لما دار حول هذه الحروف من جدلٍ كثير.

*** رأي الإمام أبي السعود في الحروف المقطعة:**

بعد أن ذكر الإمام أبو السعود ما قيل في شأن هذه الحروف خلصَ إلى أنَّ المعوَّل فيها قولان، وهما – حسب عبارته في هذا المقام–:

---

(١) مسألة المشهور والصحيح من مذهب الحنفية في هذه المسألة مختلف فيها فمثلاً الإمام الخازن (رحمه الله) يكتفي بذكر ما اعتبره الإمام أبو السعود مشهوراً من مذهب الحنفية في مسألة البسملة، وعلى ذلك فقد يكون ذلك هو الصحيح من مذهب الحنفية لدى الإمام الخازن. (ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ١ – ١٧، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ط: ١ – ١٤١٥هـ). وذكر الطاهر بن عاشور أنه لم يُنقل عن أَبي حنيفة من فُقهاء الكُوفة فيها شيءٌ، وأَخذ منه صاحب "الكشَّاف "أنها ليست من السُّور عنده فعدَّه في الَّذين قالوا بعدم جُزئيَّتها من السُّور وهو الصَّحيح عنه. "(ينظر التحرير والتنوير ١– ١٣٩. ط/ الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ).

"**أولاً:** إمَّا كونها أسماء للسور المصدرة بها وعليه إجماع الأكثر وإليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها إيذاناً بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ فيكون فيه إيماء إلى الإعجاز والتحدي على سبيل الإيقاظ فلولا أنه وحي من الله (ﷻ) لما عجزوا عن معارضته..

ثم يذكر **القول الثاني** فيقول: "وإمَّا كونها مسرودة على نمط التعديد وإليه جنح أهلُ التحقيق قالوا: إنَّما وردت هكذا ليكون إيقاظاً بمن تحدى بالقرآن وتنبيهاً لهم على أنه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلوْلا أنه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقُدَر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وأمراء الكلام في نادي الفخار دون الإتيان بما يدانيه فضلاً عن المعارضة بما يساويه... أوْ ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلاً بضربٍ من الغرابة أنموذجاً لما في الباقي من فنون الإعجاز فإن النطقَ بأنفس الحروف في تضاعيف الكلام وإنْ كان على طرف الثمام(١) يتناوله الخواص والعوام من الأعراب والأعجام لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى ممن درس وخطَّوأما من لم يحم حول ذلك قط فأعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط العَيُّوق(٢) لا سيِّما إذا كان على نمط عجيب وأسلوب غريب.. يحار في فهمه أرباب العقول ويعجز عن إدراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح

(١) الثُّمام بالضم: نبت ضعيف له خوص أو شيء يشبهه وقولهم: على طرف الثمام مثل يضرب في سهولة الحاجة وقرب المراد (الكليات ص ٥٠٢).

(٢) الأنوق: اسم للرخَمَة وهي أبعد الطير وَكْرا، فضربت العرب به المثل في تأكيد بُعْدِ الشيء وما لا يُنَال. . والعيُّوق: كوكب يطلُع مع الثريا، يضرب به المثل في البعد. (مجمع الأمثال ١ – ١١٥. لـ/ أبي الفضل النيسابوري، ط/ دار المعرفة– بيروت، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب١–٦٥٣. لـ/ الثعالبي ط/ دار المعارف – القاهرة – ط١، ١٩٦٥م)

في تسعٍ وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريباً بحيث ينطوي على أنصاف أصنافها تحقيقاًأو تقريباً... وإيراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية إلى الخماسية جرى على عادة الافتتان مع مراعاة أبنية الكلم وتفريقها على السور دون إيراد كلها مرة لذلك، ولِمَا في التكرير والإعادة من زيادة إفادة، وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل إلى المطالبة بوجهه، وعدِّ بعضها آية دون بعض مبنى على التوقيف البحت" هـ(١)

هذه خلاصة ما ذكره الإمام أبو السعود في المراد بهذه الحروف وبتأمل كلامه فيها نستطيع أن نستخلص عدة نقاط منها:

أولاً: أنَّ الإمام أبا السعود لا يذهب مع القائلين بأنَّ هذه الحروف من المتشابه الذي لا يبحث عن معناه(٢) بل تقبل الاجتهاد في استخراج معانيها.

---

(١) تفسير أبي السعود ١ – ٢١.

(٢) قال القرطبي في تفسيره: "قال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين هي – أي الحروف المقطعة – سرّ الله في القرآن ولله في كل كتاب سر فهي من المتشابه الذي انفرد الله – تعالى – بعلمه. . وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وعن علي بن أبي طالب، وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر، وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر. وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور ولا ندري ما أراد الله (ﷻ) بها "هـ(الجامع لأحكام القرآن١–١٥٤. ط/دار عالم الكتب، الرياض، السعودية–ط:١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
ومن المتأخرين الإمام الشوكاني وقد انتصر لهذا القول أشد الانتصار ومما قاله في ذلك: ". . والذي أراه لنفسي ولكل من أحب السلامة واقتدى بسلف الأمة ان لا يتكلم بشيء من ذلك، مع الاعتراف بأن في إنزالها حكمة لله (ﷻ) لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي إليها أفهامنا، وإذا انتهيت إلي السلامة في مداك فلا تجاوزه". (فتح القدير١–٣٨. ط/ دار ابن كثير، بيروت – ط/١–١٤١٤هـ).

ثانياً: أنَّ أولى ما قيل فيها رأيان؛ إمَّا كونها أسماء للسور المصدرة بها وإمَّا كونها مسرودة على نمط التعديد.

ثالثاً: أن الإمام أبا السعود يميل إلى الرأي الثاني حسب قوله "وإليه جنح أهلُ التحقيق" وسيأتي بيان ترجيحه لهذا الرأي.

بيان ما ذكره الإمام أبو السعود في هذين الرأيين وترجيحه لأحدهما:

أمَّا الرأي الأول فهو بعينه ما ذكره الإمام الزمخشري حيث قال: "وعليه إطباق الأكثر"(١) "ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة" الم: السجدة وهل أتى على الانسان"(٢).

وهذا الرأي كما هو عليه إجماع الأكثرأو إطباق الأكثر إلا أنه يضعفه اشتهار تلك السور بأسماء أخرى غير هذه الحروف كسورة البقرة، وسورة آل عمران وسورة الأعراف، وسورة مريم، وما إليها.. يقول الشيخ محمود شلتوت (رحمه الله): "لو كانت أسماء للسور – كما يقولون – لتواترت على ألسنة أصحاب رسول الله (ﷺ) وعلى ألسنة المؤمنين جيلاً بعد جيل"(٣).

---

(١) الكشاف ١- ٢١ للإمام الزمخشري. ط / دار الكتاب العربي – بيروت – ط/٣- ١٤٠٧هـ.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ١ – ٦٧. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ط/١-١٤١٩ هـ. والحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة رقم ٨٩١. وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب ما يقرأ في يوم الجمعة رقم ٢٠٠١.

(٣) تفسير القران الكريم للإمام محمود شلتوت (رحمه الله) ص٥٣ ط/ دار الشروق الحادية عشرة ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

وما يهمنا هو القول الثاني الذي مال إليه الإمامُ أبو السعود؛ وهو أنَّ تلك الحروف مسرودة على نمط التعديد([1]) ومعنى ذلك أنَّ هذه الحروف مقصودة لذاتها، بدليل نطق أسمائها دون مسمياتها([2])، وعِلَّةُ ذلك – كما ذكر الإمام أبو السعود –"أنْ تكون إيقاظاً بمن تحدي بالقرآن وتنبيهاً لهم على أنه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم.

أوْ ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلاً بضربٍ من الغرابة فإن النطقَ بأنفس الحروف في تضاعيف الكلام وإن كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام من الأعراب والأعجام لكن التلفظ بأسمائها انما يتأتى ممن درس وخط.."([3])

وإنما رسمت على هيئة مسمياتها ليلاحظ من أول الأمر أنَّها أسماء لمسمياتها ولا يزاد على ذلك.

وعليه فاستحقاق الحسنات على نطق هذه الحروف إنما يكون على مسماها وليس أسمائهامثلها مثل حروف "ذلك الكتاب" ويدللُّ الإمام أبو السعود على ذلك بما روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: "من قرأ حرفاً من القرآن كتبت له حسنة ولا

---

(١) معنى كونها مسرودة على نمط التعديد أي ساكنة الأواخر مثل الأعداد كقول القائل مثلاً واحدْ اثنانْ ثلاثةْ. . . إلخ

(ينظر: إرشاد العقل السليم ١ – ٢١)

(٢) أيُّ اسمٍ يكون المقصود منه هو مسماه كـــ "محمد "مثلاً، المقصود منه مسماه فإذا ما قلنا (ألف أو لام أو ميم) كانت هذه الأسماء موضوعة للدلالة على مسمياتها التي تستخدم في مباني الكلمات.

(٣) إرشاد العقل السليم ١ – ٢٢.

أقول ألم ذلك الكتاب ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف واللام حرف والكاف حرف([1]).

(١) ينظر تفسير أبي السعود ١ – ٢٠. والحديث المذكور **عزاه أبو السعود** للإمام الترمذي والإمام الدارمي، لكنِّي ألم أجد الحديث فيهما بهذه الزيادة المذكورة وهي قوله (ﷺ): ذلك الكتاب. وقوله: والذال حرف واللام حرف والكاف حرف ولفظه فيهما: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ "قال أبو عيسى: ويُروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود، رواه أبو الأَحْوص، عن ابن مسعود، رفعه بعضهم ووقفه بعضهم عن ابن مسعود. هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. ."هـ.

والحديث صححه الألباني. (ينظر: سنن الترمذي ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها).

ورواه الدارمي موقوفاً عن ابن مسعود قال محققه:"إسناده ضعيف لضعف إبراهيم الهجري" (ينظر: سنن الدارمي، ط: دار الكتاب العربي – بيروت – ط، أولى، ١٤٠٧هـ والأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها) وأمَّا الزيادة التي ساقها **الإمام أبو السعود** فقد جاءت في المعجم الأوسط للطبراني (١ – ١٠١. ط/ دار الحرمين– القاهرة، ١٤١٥هـ) من رواية عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله (ﷺ): من قرأ حرفاً من القرآن كتبت له حسنة ولا أقول ألم ذلك الكتاب ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف واللام حرف والكاف حرف "ثم قال الطبراني: "لا يروى هذا الحديث عن عوف بن مالك إلا بهذا الإسناد تفرد به سليمان بن بلال".

قلت: رواه سليمان بن بلال عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف (ينظر: تقريب التهذيب ١– ٥٥٢ لابن حجر العسقلاني، ط/ دار الرشيد – سوريا، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م). وذكر نحو هذه الزيادة ابن أبي شيبة في مصنفه (ط/ مكتبة الرشد – الرياض، ط/ أولى، ١٤٠٩هـ). =

وظاهرهذا أنَّ المعتبر في الحساب الحروف المكتوبة لا الملفوظة.([1])

يقول الإمام أبو السعود: "والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة إنما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله (ﷻ) سواء عبر عنها بأسمائها أو بأنفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول إلا على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما إذا قلت الألف مؤلف من ثلاثة أحرف فكما أنَّ الحسنات في قراءة قوله تعالى: **(ذلك الكتاب)** بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى: **(الم)** بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة أسمائها الملفوظة"([2]).

وما ذهب إليه الإمام أبو السعود من أنَّ هذه الحروف سيقت مساق التهجي مسرودةً على نمط التَّعديد بغية الإيقاظ والتحدي بالقرآن..، هو رأي كثير من العلماء ومنهم الإمام الزمخشري([3]) الذي ينقل عنه الإمام أبو السعود كثيراً، وكذلك قول المُبرِّد وقطرب والفرَّاء.. ، ، واختاره كذلك الإمامُ الطاهر بن عاشور مع بيان وجه هذا الاختيار؛ حيث قال: "وهو الَّذي نختاره وتظهر المناسبة لوقوعها في فواتح السور أنَّ كلَّ سورة مقصودة بالإعجاز لأن اللَّه- تعالى- يقول: **(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ([4]))** فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالتمهيد

= وبزيادة أخرى في شعب الإيمان للبيهقي (٢ – ٣٤١. ط: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ) من طريق موسى بن عبيدة الربذي أيضاً أن رسول الله (ﷺ) قال: "لَا أقول بسم اللَّه ولكن باء وسين وميم، ولا أقول الم ولكن الألف واللام والميم".

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤- ١٤٧١. لـ/ أبي الحسن الهروي، ط/ دار الفكر، بيروت – لبنان. ط/١- ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٢) تفسير أبي السعود ١ – ٢٠.

(٣) ينظر: الكشاف ١- ٢٧.

(٤) سورة البقرة آية رقم: ٢٣.

لمحاولته ويؤيد هذا القول أنَّ التهجي ظاهرفي هذا المقصد فلذلك لم يسألوا عنه لظهور أمره وأنَّ التهجي معروف عندهم للتعليم فإذا ذكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم عرف السَّامعون أنهم عُوملوا معاملة المتعلّم لأنَّ حالهم كحاله في العجز عن الإتيان بكلام بليغ، ويعضّد هذا الوجه تعقيب هاته الحروف في غالب المواقع بذكر القرآن وتنزيله أو كتابيته إلَّا في **(كهيعص**([1])) و**(الم ۞أَحَسِبَ النَّاسُ** ([2])) و **(الم ۞غُلِبَتِ الرُّومُ**([3]))..."([4]).

رابعاً: مما يؤخذ أيضاً من كلام الإمام أبي السعود سالف الذكر في شأن هذه الحروف أنها وإن كانت على نمط التعديد إلا أنها لا تخلو مما يحير أرباب العقول ويعجز عن إدراكه الباب الفحول حيث وردت تلك الفواتح في تسعٍ وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريباً، وكذلك تخصيص كل منها بسورتها.. فكلٌ ذلك متروك لعلام الغيوب.

أمَّا اختيار حروف معينة من التسع وعشرين، ولم يكن من بينها مثلاً الثاء أو الجيم أو الضاد.. فلم يتعرض له الإمام أبو السعود، ولعلَّ ذلك لوضوحه" إذ إنَّ الحروف المختارة لتكون في بدايات بعض السور هي حروف أكثر دوراناً في كلام العرب ويكاد أن لا تخلو منها كلمة ففي قول امرئ القيس مثلاً:

وَقَدْ أغْتَدي وَالطّيرُ في وُكناتِها * بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ

---

(١) سورة مَرْيَم آية رقم: ١.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم: ١، ٢.

(٣) سورة الروم آية رقم: ١، ٢.

(٤) التحرير والتنوير ١- ٢١٣.

مِكَرٍّ مفرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معـــــــاً * كجلمودِ صخْرٍ حطه السيل من علِ(١)

نجد الحروف المقطعة كلها مذكورة في هذين البيتين وما ذلك إلا أنها أكثر دوراناً في كلام العرب"(٢). فالتحدي بها أظهر..

وعلى العلات فهذا ملخص ما قاله الإمام أبو السعود في شأن الحروف المقطعة والرأي الذي اختاره في معناها.

ومن الأبحاث المهمة في علوم القرآن والتي لا بدَّ للمفسر من الإحاطة بها والاستفادة منها في تفسيره معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول.

الناسخ والمنسوخ في تفسير الإرشاد:

يذهب الإمام أبو السعود كما ذهب العلماء إلى جواز النسخ عقلاً ووقوعه سمعاً(٣)؛ ويظهر ذلك من خلال تعريفه للنسخ، ومن خلال النماذج التفسيرية التي تدلُّ على ذلك.

---

(١) ديوان امرئ القيس ١ – ٥٣. ط/ دار المعرفة – بيروت – ط/ ٢، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

(٢) مستفاد من محاضرات عدة لطلاب الدراسات العليا للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة (رحمه الله).

(٣) انما قلتُ العلماء ولم أقل جمهور العلماء لأنه لا عبرة بمن أنكر النسخ سواء أكان من غير المسلمين كفرق اليهود من الشمعونية والعنانية والعيسوية وكذلك النصارى أم كان من المسلمين كما يُروى عن أبي مسلم الأصفهاني فإنه قال: إنه جائز غير واقع!!. (ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول ص٢٧٦، ٢٧٧، لـ/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني – ط – دار الفكر / بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، وقد قمت – ولله الحمد – بتحقيق تلك المسألة في بحث بعنوان (النسخ بين شبهات المنكرين وأدلة المثبتين).

* فعند تفسيره لقوله تعالى: **(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** نجده يعرف النسخ مشيراً إلى أنواعه وبيان حكمته فيقول: "والنسخ في اللغة الإزالة والنقل؛ يقال نسخت الريحُ الأثر أي أزالته ونسختُ الكتاب أي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أوبهما جميعاً وانساؤها إذهابها من القلوب.. والمعنى أنَّ كل آية نذهب بها على ماتقتضيه الحكمة والمصلحة من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما معا إلى بدل أو إلى غير بدل نأت بخير منها أي نوع آخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة..

والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور فلك الأحكام الشرعية إنما هو بحسب ما يقتضيه من الحِكَم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الأحوال ويتبدل حسب تبدل الأشخاص والأعصار كأحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضى في حال أخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والأحكام"(١).

هذا ما ذكره الإمام أبو السعود في تعريف النسخ وبيان أنواعه والحكمة منه، وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ تعريف الإمام أبي السعود للنسخ إنما هو من كلام الإمام البيضاوي(٢).

ويؤخذ مما ذكره الإمام أبو السعود في هذا المقام:

أولاً: أنَّ الإمام أبا السعود يذهب كما ذهب علماء الإسلام إلى إثبات النسخ ووقوعه حتى لنجده لا يزيد على التعريفين السابقين للنسخ شيئاً.

---

(١) تفسير أبي السعود ١ – ١٤٣.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١–٩٩. للإمام البيضاوي ط/ دار إحياء التراث العربي– بيروت –ط/١– ١٤١٨هـ.

أولاً: أنَّ النسخ في اللغة له معنيان: المعنى **الأول:** (الإزالة) **والثاني:** (النقل)

ثانياً: أن المراد بالنسخ في معناه الاصطلاحي هو المعنى الأول في اللغة وليس المعنى الثاني، ويوضح الإمام ابن عطية ذلك بقوله: "قوله – تعالى–: **(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍأَوْ نُنسِهَا)** النسخ في كلام العرب على **وجهين: أحدهما:** النقل كنقل كتاب من آخر، **والثاني:** الإزالة. فأمَّا الأوّل فلا مدخل له في هذه الآية، وقد ورد في كتاب الله – تعالى – في قوله – تعالى –**(إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**(١)) وأما الثاني – الذي هو الإزالة – فهو الذي في هذه الآية"(٢).

* ومن نماذج النسخ في تفسير الإمام أبي السعود ما ذكره (رحمه الله) في تفسير قوله – تعالى –: **(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**(٣)): "المراد بالسفهاء هم اليهود على ما روى عن ابن عباس ومجاهد (رضي الله عنهما)(٤) قالوه إنكاراً للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته (عليهم السلام) لهم في القبلة"(٥).

---

(١) سورة الجاثية آية رقم ٢٩.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز١– ١٩٠. لـ/بن عطية ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/١ – ١٤٢٢ هـ.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ١٤٢.

(٤) ينظر: جامع البيان ٣ – ١٣٠ لـ/ ابن جرير الطبري، ط/ مؤسسة الرسالة، ط: أولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

(٥) تفسير أبي السعود ١ – ١٧٠.

في هذا النموذج نرى الإمام أبا السعود يثبت القول بوقوع النسخ وذلك من خلال ما هو مشهور ومعلوم من نسخ التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة بالتوجه إلى بيت الله الحرام.(١)

كذلك يشير الإمام أبو السعود في هذا النموذج إلى ما ذهب إليه اليهود من إنكار النسخ.(٢)

وفي مسألة تحويل القبلة وما جرى فيها من نسخ يلاحظ الإمام أبو السعود ما تكرر من أمر التوجه إلى بيت الله الحرام مؤكداً بذلك قضية النسخ حيث يقول في تفسير قوله تعالى: **(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا**

---

(١) روى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس، (رضي الله عنهما) قال: "أَوَّلُ ما نسخ من القرآن فيما ذُكر لنا شان القبلة، قال اللَّهُ: **(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)** [البقرة: ١١٥] فاستقبل رسول اللَّه (ﷺ) فصلَّى نحو بيت المقدس، وترك البيت العتيق، فقال اللَّهُ تعالى: **(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)** [البقرة: ١٤٢] يعنون بيت المقدس فنسختها، وصرفه اللَّهُ إلى البيت العتيق فقال اللَّهُ تعالى: **(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)** [البقرة:١٥٠] قال الحاكم:"هذا حديث صحيح على شرط الشَّيخين، ولم يخرِّجاه بهذه السِّياقة" وعلق الإمام الذهبي بقوله: على شرط البخاري ومسلم (المستدرك على الصحيحين ٢ – ٢٩٤ ط / دار الكتب العلمية – بيروت – ط: أولى، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م، وبزيله تعليقات الذهبي، ت / مصطفى عبد القادر عطا).

(٢) اليهود في إنكار النسخ على ثلاث فرق: الفرقة الأولى: الشمعونية ويرون أن النسخ لا يجوز عقلاً ولم يقع سمعاً. الفرقة الثانية: العنانية: ويرون جواز النسخ عقلاً غير واقع سمعاً، وكلاً من الشمعونية والعنانية ينكر النسخ ليتوصل بذلك إلى إنكار نبوة محمد (ﷺ) الفرقة الثالثة: العيسوية: ويرون أن النسخ جائز عقلاً وواقع سمعاً، ويقولون بأن رسالة محمد (ﷺ) خاصة بالعرب. (ينظر: مناهل العرفان في علوم القران ٢ – ١٨٦).

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١)): "والتكرير(٢) لما أنَّ القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالأحرى أن يؤكد أمرها مرة غبَّ أخرى"(٣).

* ومن النماذج التي تطلعنا على إلمام الإمام أبي السعود بموضوع النسخ وأنه قد يتسع معناه فيشمل تقييد المطلق وتخصيص العام.. ما ذكره في تفسير قوله تعالى على لسان عيسى (عليه السلام): **(وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**(٤)): "قوله تعالى: **(بَعْضَ الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)** أي في شريعة موسى (عليه السلام) من الشحومِ والثُروب(٥) والسمكِ ولحومِ الإبلِ والعملِ في السبت.. وهذا يدلُّ على أن شرعَه كان ناسخاً لبعض أحكام التوراةِ ولا يُخِل ذلك بكونه مصدِّقاً لها لما أنَّ النسخَ في الحقيقة بيان وتخصيصٌ في الأزمان"(٦)

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ١٥٠.

(٢) يشير (رحمه الله) إلى ما سبق في قوله تعالى في سورة البقرة؛ آية رقم: ١٤٤ **(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)** وقوله تعالى: **(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)** [البقرة ١٤٩].

(٣) تفسير أبي السعود ١ – ١٧٨.

(٤) سورة آل عمران آية رقم: ٥٠.

(٥) الثَّرْبُ: شحم رَقيق قد غَشّى الكَرِش والأمعاء وجمعه: ثُرُوبٌ وأَثْرُبٌ. (القاموس المحيط ١ – ٦٢ لـــ/ الفيروزآبادى، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة / الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٦) تفسير أبي السعود ٢ – ٤٠.

يوضح الإمام أبو السعود في هذا النموذج عدم التعارض بين كون رسالة عيسى (عليه السلام) ناسخة لبعض أحكام التوراةِ وكونه مصدقاً لها، على اعتبار أنَّ النسخ هنا ليس على اصطلاح المتأخرين وأولهم الإمام الشافعي الذي عرف النسخ بقوله: رفع حكم النص بعد أن يكون ثابتاً(١) وإنما النسخ هنا على مفهوم المتقدمين من الصحابة والتابعين حيث كانوا – كما يقول صاحب الموافقات –: "يطلقون على تقييد المطلق نسخاً، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً، وعلى بيان المبهم والمجمل نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً؛ لأنَّ جميع ذلك مشترك في معنى واحد، وهو أنَّ الأمر المتقدم غير مراد في التكليف، وإنما المراد ما جيء به آخراً، فالأول غير معمول به والثاني معمول به.

وهذا المعنى جار في تقييد المطلق، فإن تقييد المطلق متروك الظاهر مع مقيده فلا إعمال له في إطلاقه، بل المُعْمَل به هو المقيد، فكأن المطلق لم يُفِد مع مقيده شيئاً فصار مثل الناسخ والمنسوخ.

وكذلك العام مع الخاص، إذ كان ظاهر العام يقتضي شمول الحكم لجميع ما يتناوله اللفظ، فلما جاء الخاص أخرج حكم ظاهر العام عن الاعتبار، فأشبه الناسخ والمنسوخ، إلا أنَّ اللفظ العام لم يهمل مدلوله جملةً وإنما أهمل منه ما دلَّ عليه الخاص، وبقي السائر على الحكم الأول. والمبين مع المبهم، كالمقيد مع المطلق"(٢).

---

(١) الرسالة ص ١٢٧ للإمام الشافعي (رضي الله عنه) ط/ مكتبة دار التراث ــ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م.

(٢) الموافقات ٣ ــ ١٠٨ لـ/ إبراهيم بن موسى (الشاطبي ت ٧٩٠) ط / دار المعرفة – بيروت تحقيق: عبد الله درَّاز.

* ومن النماذج أيضاً ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(١))** حيث قال: ".. كان ذلك أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا (٢)) فإنه وإن كان متقدماً في التلاوة متأخر في النزول"(٣).

* وربما قال الإمام أبو السعود بالنسخ فيما هو عند النظر والتحقيق ليس نسخاً وذلك مثل ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ان اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٤))** حيث قال (رحمه الله): "العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب حتى يأتي الله بأمره الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم أو الإذن في القتال وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه منسوخ بآية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لأنها لا تعلم إلا شرعاً ولا يخرج الوارد بذلك من أن يكون ناسخا كأنه قيل فاعفوا واصفحوا إلى ورود الناسخ"(٥).

هذا ما ذكره الإمام أبو السعود في تفسير هذه الآية الكريمة والتحقيق أن قوله تعالى: **(فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ)** ليس منسوخاًوإلا لم يكن

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢٤٠.
(٢) سورة البقرة آية رقم: ٢٣٤.
(٣) تفسير أبي السعود ١ –٢٣٦.
(٤) سورة البقرة آية رقم: ١٠٩.
(٥) تفسير أبي السعود ١ – ١٤٦.

للمؤمنين عند ضعفهم وقلة قوتهم رخصةٌ في أنْ يصبروا على الأذى مما يستوجب عقوبتهم إذا فعلوا ذلك، يقول الإمام السيوطي (رحمه الله) عند ذكره لأقسام النسخ –: ".. الثالث: ما أُمِر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح. ثم نسخ بإيجاب القتال وهذا في الحقيقة ليس نسخاً بل هو من قسم المنسأ كما قال – تعالى–: **(أو نَنْسَأْها(١))** فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أنْ يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك بل هي من المنسأ بمعنى أنَّ كل أمرورد يجب امتثاله في وقتٍ ما لعلة تقتضي ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكمٍ آخر وليس بنسخ إنما النَّسخ الإزالة للحكم حتى لايجوزامتثاله. وقد ذكرَ جماعة أن ما ورد في الخطاب المشعر بالتوقيت والغاية مثل قوله –تعالى –: **(فَاعْفُواوَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ(٢))** فحكمٌ غير منسوخ لأنه مؤجل بأجل، والمؤجل بأجل لا نسخ فيه" هـ(٣)

---

(١) قرأ أبو عمرو، وابن كثير بفتح النون الأولى وفتح السين والهمزة جعلاه من التأخير على معنى أو نؤخر نسخ لفظها نأت بخير منها فهو من: نسأ الله في أجلك "أي أخر فيه. وقرأ الباقون: (أو نُنسها) بضم النون معناه "تنسك نحن يا محمد". (كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١ – ١٠٦ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ــ ط / بيروت. وحجة القراءات ص ١٠٩ ــ ١١٠ لـ/ عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة "أبي زرعة "ط – مؤسسة الرسالة – بيروت / الثانية ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢م).

(١) سورة البقرة آية رقم: ١٠٩.

(٣) الإتقان في علوم القران ٣ – ٦١. الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

وبعد هذه النماذج من تفسير الإمام أبي السعود في أمر النسخ ننظر إلى أسباب النزول ومنهج الإمام أبي السعود في ذلك.

أسباب النزول في تفسير الإرشاد:

أقول – والله الموفق–: من المعلوم أنَّ معرفة أسباب النزول تعين كثيراً على بيان المعنى، وفي ذلك يقول الإمامُ الواحدي(١) في كتابه أسباب النزول: "لا يمكن معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها". هـ(٢)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "مقدمة في أصول التفسير: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"هـ(٣).

ويقول ابن دقيق العيد: "بيان سببِ النزولِ طريقٌ قويٌ في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصَّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا".(٤)

فأسباب النزول وسيلة لفهم معاني الآيات، وهي في الحقيقة ليست نقيضاً أو بديلاً لما هو عام من عموم معنى الألفاظ، يقول الطاهرُ ابن عاشور: "ومعنى

---

(١) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز. مات بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربع مائة. (سير١٨-٣٣٩).

(٢) أسباب النزول للواحدي صـ: ٣ "دار الحرم للتراث – الأولى ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦).

(٣) مقدمه في أصول التفسير ١- ١٦. ط/ دار مكتبة الحياة، بيروت – الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ١ – ٨٣.

كون أسباب النزول من مادة التفسير؛ أنها تعين على تفسير المراد، وليس المراد أن لفظ الآية يقصر عليها"هـ(١).

وإذا استعرضنا منهج الإمام أبي السعود في بيان معنى الآية بمعونة سبب نزولها – إن كان لها سبب نزول – نراه لا يتعدى هذا الكلام السابق ذكره؛ إذْ يجعل سبب نزول الآية أحد الطرق الموصلة إلى المعنى، كما نجده أحياناً يسوق سبب النزول بصيغة التضعيف رغم صحة سنده ولعل ذلك يعود لاهتمامه الشديد بدلالات الألفاظ وعمومها، والحرص على كل ما يعين على فهم المعنى.

فإذا لم يكن للآية طريق آخر في فهم معناها إلا عن طريق سبب نزولها، فإنه لا يتعدى بيان معناها إلا من خلال هذا الطريق.

وهاكم النماذج:

* **يقول (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ان طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(٢))**: ".. المراد بالمصلى إما موضع الصلاة أو موضع الدعاء روي أنه (ﷺ) أخذ بيد عمر (رضي الله عنه) فقال هذا مقام إبراهيم فقال (رضي الله عنه) أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت. وقيل المراد به الأمر بركعتي الطواف لما روى جابر (رضي الله عنه) أنه (عليه السلام) لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفة ركعتين وقرأ

(١) التحرير والتنوير ١ – ٢٤.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ١٢٥.

(واتخذوا) على صيغة الماضي عطفا على (جعلنا) أي: واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبله يصلُّون إليها"(١).

في هذا النموذج نرى الإمام أبا السعود وهو يوضح معنى الآية بما ثبت في صحيح البخاري من سبب نزولها من حديث عمر (ﷺ) أنه قال: "وافقت ربي في ثلاث فقلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فأنزلت: **(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)**.. الحديث(٢).

غير أنه ذكر ذلك بصيغة التضعيف، كما ساق رواية أخرى عن جابر (ﷺ)(٣) وإن لم تصرح بسبب نزولهذه الآية، لكنها تتفق مع القراءة الأخرى المتواترة لـ (واتخذوا) بفتح الخاء(٤).

* وقديذكر الإمام أبو السعود ما هو ضعيف في سبب النزول، ومن النماذج في ذلك ما ذكره (رَحِمَهُ اللَّهُ) في تفسير قوله تعالى: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ..** الآية(٥)) حيث قال: "كانوا قد سألوه (عليه السلام) عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدُّل أمره فأمره الله العزيز الحكيم أنْ يجيبهم

---

(١) تفسير أبي السعود ١ – ١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قول الله تعالى: **(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)** [البقرة ١٢٥].

(٣) رواية جابر جزء من حديثه الطويل الثابت في صحيح مسلم [كتاب الحج، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ] (ﷺ).

(٤) قرأ نَافِع وَابْن عَامر (وَاتَّخذُوا) بفتح الخاء والباقون بكسرها. (التيسير في القراءات السبع ١ – ٧٦ لأبي عمرو الداني، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٥) سورة البقرة آية رقم: ١٨٩.

بأنَّ الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس في عبادتهم لا سيما الحج..."([1]).

وهذا السبب عزاه السيوطي في الدر المنثور لابن عساكر بسند ضعيف عَن ابْن عَبَّاس([2]).

وقال الإمام الزيلعي في كتابه المسمى " تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف": "قلت: غريب ونقله الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي أنه قال نزلت يسألونك عن الأهلة في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا: فذكره"([3]).

كما أنَّ الأصل في السؤال أنْ يطابقه الجواب؛ يقول أ. د. القيعي (رحمه الله): "سألوه عن الحكمة مَن خلقها، لا عن أطوار الهلال من النقصان والزيادة كما قيل؛ إذن الأصل المطابقة بين الجواب والسؤال حتى يقوم دليل على خلاف ذلك"([4]).

* وقد ساق الإمام أبو السعود سبب نزول قوله تعالى من نفس الآية **(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا)** ثم عقد المناسبة بينه وبين سابقه فيقول: "كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا داراً ولا فسطاطاً من بابه وإنما

---

(١) تفسير أبي السعود ١ –٢٠٣.

(٢) الدر المنثور ١ – ٤٩٠. للإمام السيوطي، ط/ دار الفكر – بيروت. وقد ذكر سنده في اللباب [١ – ٢٥ دار الكتب العلمية بيروت] من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٣) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري١–١١٨ط/ دار ابن خزيمة– الرياض– ط/١–١٤١٤هـ.

(٤) الأصلان في علوم القرآن ص ٣٨٩ لـ/ أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، ط/ الرابعة ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.

يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءها ويعدون ذلك براً فبين لهم أنه ليس ببر فقيل: **(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى)** أي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الأمرين أو أنه لمَّا ذكر أنها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من أفعالهم في الحج استطرادا..."."

والسبب المذكور هنا صح من حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: نزلت هذه الآية فينا كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عُيِّر بذلك فنزلت: **(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا).**(١)

ويستفاد من هذا النموذج أنَّ الإمام أبا السعود قد التزم بما قاله المحققون من أنَّ المناسبة إذا توقفت على سبب النزول فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السَّبب لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد.(٢)

* ومن نماذج الاستفادة بأسباب النزول في دفع الإشكالات ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ(٣))** حيث قال: "هذا الطواف واجب عندنا والشافعي وعن مالك (رحمهما الله) أنه ركن وإيراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما أنه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا إذا سعوا بينهما مسحوا بهما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج باب قول الله تعالى: **(وأتوا البيوت من أبوابها)** وأخرجه مسلم في أوائل كتاب التفسير رقم: ٣٠٢٦.

(٢) ينظر البرهان في علوم القران ١ – ٣٤.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ١٥٨.

فلما جاء الاسلام وكسر الأصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت([1]).

ففي هذا السبب المذكور دفع شبهة التخيير في أمر السعي بين الصفا والمروة، وقد صح هذا السبب من حديث عروة بن الزبير عن عائشة (رضي الله عنها)([2]).

* ومن النماذج التي لا يتم معنى الآية فيها إلا بذكر سبب نزولها ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما ان اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**([3])) حيث قال: "تجادلك في زوجها أي: تراجعك الكلام.. وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك.. ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت.. فاستفتت رسول الله (ﷺ) فقال: حرمت عليه. فقالت: يا رسول الله ما ذكر طلاقاً فقال: حرمت عليه.. فقالت أشكواإلى الله فاقتي

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٠ –٢٢٨ (حديث السيدة عائشة (رضي الله عنها)) رقم:٢٤١٩٥، والنسائي في سننه كِتَاب الطَّلاقِ، بَاب الظِّهَارِ رقم: ٣٤٦٠، والبيهقي في سننه كتاب الظهار باب سبب نزول آية الظهار رقم: ١٥٦٣٦، وأبو داود في سننه كتاب الطلاق باب في الظهار رقم:٢٢١٤، وابن ماجة في سننه كتاب الطلاق باب الظهار رقم: ٢٠٦٣، ورواه البخاري في كتاب التوحيد (باب قول الله – تعالى–{**وكان الله سميعا بصيرا**}) تعليقاً فقال: وقال الأعمش عن تميم عن عروة عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فأنزل الله – تعالى– على النبي (ﷺ) {**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**}).

(٢) صحيح البخاري كتاب الحج، باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة، وصحيح مسلم كتاب الحج باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصلح الحج إلا به.

(٣) سورة المجادلة آية رقم: ١.

ووجدي، وجعلت تراجع رسول الله (ﷺ) وكلما قال (ﷺ) حرمت عليه هتفت وشكت الى الله – تعالى – فنزلت(١).

* ومن النماذج التي تدل على اعتباره عموم اللفظ لا خصوص السبب ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا(٢))** حيث قال: "وهو خطاب يعم حُكمُه المكلفين قاطبة كما أنَّ الأمانات تعم جميع الحقوق... وإنْ ورد في شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك أنَّ رسول الله (ﷺ) حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان (رضي الله عنه) باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه. فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل النبي وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت"(٣).

في هذا النموذج نرى الإمام أبا السعود يقول بما قال غيره من العلماء من أنَّ الآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً ونهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته، وإنْ كانت خبرًا بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته أيضًا.(٤)

---

(١) تفسير أبي السعود ٨ – ٢١٥. والحديث المذكور عزاه السيوطي في الدر المنثور [٨ – ٧٠ دار الفكر – بيروت] لابْن ماجة وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي.

(٢) سورة النساء آية رقم: ٥٨.

(٣) تفسير أبي السعود٢–١٩٢. والحديث المذكور قال فيه الإمام الزيلعي: "قلت: غريب وذكره الثعلبي ثم البغوي في تفسيرهما هكذا من غير سند وكذلك فعل الواحدي. (تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف ١–٣٢٨).

(٤) ينظر: مقدمة في أصول التفسير ١ – ١٦.

ولا يخفى أنَّ أبحاث علوم القرآن كثيرة ومتنوعة لا يتسع المقامُ إلا لهذا القليل الذي ذكرته.. وقد تبيَّن منه أن الإمام أبا السعود ينطلق في تفسيره من خلال قواعد وأصول، منها علوم القرآن.

واستكمالاً لإظهار تلك القواعد نواصل الحديث عن منهج الإمام أبي السعود في تفسيره من خلال الحديث عن بعض المسائل الفقهية في هذا التفسير.

المطلب الثاني

الفقه في تفسير إرشاد العقل السليم

لا يمكن لأحدٍ أنْ يقدمَ على تفسير الكتاب العزيز تفسيراً يعتدُّ به دون أن تكون لديه ملكة فقهية تمكنه من فهم كلام الله – تعالى– على سبيل العموم ثم تلك الآيات التي تتناول أحكاماً شرعية تتصل بأعمال المكلفين على سبيل الخصوص.

وقد كان الإمام أبو السعود على درجة عالية من إتقان هذه الملكة سواء ما اتصل بفهم كتاب الله – تعالى– على سبيل العموم أو ما اتصل به من الأحكام الشرعية، وليس أدل على هذا من اشتغال الإمام أبي السعود بمهنة الإفتاء قرابة ثلاثين عاماً، وأيضاً مؤلفاته الفقهية كرسالته في المسح على الخفين، وتعليقاته على كتاب الهداية في الفقه الحنفي.

ومع ذلك" فإنَّ الإمام أبا السعود لم يكثر في تفسيره من المسائل الفقهية أو الدخول في المناقشات والأدلة المذهبية"(١)، ولعلَّ ذلك يعود إلى ما قصده من تفسيره من الاهتمام بأسرار البلاغة القرآنية.

(١) ينظر: التفسير والمفسرون ١ –٢٤٩.

ومنهجه فيما ساقه من مسائل فقهية أنه يسرد المذاهب مبتدأً في كثير من المواضع بمذهبه الحنفي مع تأكيده عليه بقوله: "وعندنا" أو "هذا عندنا" أو "عند أبي حنيفة (رحمه الله)" كذلك فإنه يقرر ما ذهب إليه جمهور الفقهاء مع بيان الأدلة دون تفريع أو تفصيل، وربما اكتفى بذكر مذهبه الفقهي في المسألة دون تعرض لغيره.

وفي النماذج التالية بيان لذلك:

*** يقول (رحمه الله) عند تفسير قوله تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّـهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ(١))**: "وقد اختُلِفَ فيه، فعندنا هو أن يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه، فإنه لا يقصد فيه الكذب. وعند الشافعي (رحمه الله) هو قول العرب: لا واللهِ، وبلى واللهِ، مما يؤكدون به كلامهم من غير إخطار الحلف بالبال"(٢).

في هذا النموذج يكتفي الإمام أبو السعود بما قاله الإمامان أبو حنيفة والشافعي في مسألة اليمين اللغو، دون مناقشة أو ترجيح، كما لم يتطرق إلى بقية ما قيل في هذه المسألة، حتى أنه لم يذكر الإمام مالك رغم اتفاق قوله مع قول أبي حنيفة في هذه المسألة(٣).

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢٢٥.

(٢) تفسير أبي السعود ١ –٢٢٤.

(٣) ذكر ابن العربي لهذه الآية **سبعة أقوال: الأول:** ما يجري على اللسان من غير قصد، كَقوله: لا والله، وبلى والله؛ قالته عائشة، والشافعي. **الثاني:** ما يحلف فيه على الظن، فيكون بخلافه قاله مالك. **الثالث:** يمين الغضب. **الرابع:** يمين المعصية. **الخامس:** دعاء الإنسان على نفسه، كقوله: إنْ لم أفعل كذا فيلحق بي كذا ونحوه. **والسادس:** اليمين الْمُكَفِّر. **السابع:** يمين الناسي. (أحكام القران لابن العربي ١ – ٢٤١ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣ – ١٠٠)

* ومن النماذج أيضاً ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**(١))

حيث قال: "المراد به عدم قربانهن لاعدم القرب منهن وبيان لغايته؛ وهو انقطاع الدم عند أبي حنيفة (رحمه الله) فإنْ كان ذلك في أكثر المدة حلَّ القربان كما انقطع وإلا فلا بد من الاغتسال أو من مضى وقت صلاة(٢) وعند الشافعي (رحمه الله) أن يغتسلن بعد الانقطاع كما تفصح عنه القراءة بالتشديد(٣) وينبئ عنه قوله: (عز وجل) **(فَإِذَا تَطَهَّرْنَ)** فإن التطهر هو الاغتسال"(٤).

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢٢٢.

(٢) يفصِّل هذا القول الإمام الجصاص وهو من أئمة الحنفية فيقول:"إن قوله: **(يَطْهُرْنَ)** إذا قُرئ بالتخفيف، فهو مستعمل على حقيقته فيمن كانت أيامها عشراً، فيجوز للزوج استباحة وطئها بمضي العشر، وقولَه: **(يَطْهُرْنَ)** بالتشديد، وقولَه:**(فَإِذَا تَطَهَّرْنَ)** مستعملان في الغسل إذا كانت أيامها دون العشر ولم يمض وقت الصلاة". (أحكام القرآن للجصاص ١ – ٤٢٤ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ =١٩٩٤م) ومعنى هذا الكلام عند الحنفية أنه إذا انقطع حيض المرأة دون العشر ولَمْ يَمْضِ وَقْتُ الصَّلَاةِ مثل صلاة العصر أي قبل غروب الشمس لزمها الغسل لوجوب الصلاة عليها حينئذٍ، وحلت لزوجها، أما إذا انقطع الدم بعد مضي وقت الصلاة لم يلزمها الغسل، وتحل لزوجها دون غسل. وبمعنى آخر أن قربان زوجها لها قبل مضي العشرة أيام ومضي وقت الصلاة متوقف على شرط الاغتسال، أما بعد مضي العشرة فلا يتوقف قربانه لها على هذا الشرط.

(٣) قرأ حَمْزة والكسائي، وخلف، وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء، والباقون بتخفيفهما. (كتاب السبعة في القراءات ص ١٨٢. لـ/ ابن مجاهد ط/ دار المعارف – مصر – ط/ ٢، ١٤٠٠هـ).

(٤) تفسير أبي السعود ١ –٢٢٢.

في هذا النموذج لا يدخل الإمام أبو السعود في تفصيل الأدلة، وإنما يذكر بإيجاز قول الحنفية والشافعية، مع الإشارة لبعض أدلة الشافعية في هذه المسألة، مما قد يدل على استئناسه لهذا القول.

* ومن تقريره لما ذهب إليه جمهور الفقهاء مع بيان الأدلة بإيجاز دون تفريع أو تفصيل ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**(١)): "أي تتزوج غيره فإنَّ النكاح أيضاً يسند إلى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد. والجمهور على اشتراط الإصابة لما رويأنَّ امرأة رفاعة قالت لرسول الله (ﷺ): إنَّ رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمن بن الزَّبِيرِ تزوجني وإنَّ ما معه مثل هدبة الثوب. فقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ قالت: نعم. قال: لا إلا أن تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك(٢) وبمثله تجوز الزيادة على الكتاب، وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج"(٣).

في هذا النموذج يذكر الإمام أبو السعود قول من تعلق بظاهر قوله تعالى: **(حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ)** من أنَّه يكفي في تحليلها للأول مجرد العقد عليها. فالنكاح على هذا القول حقيقة في العقد وهذا ما ذهب إليه سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير(٤).

---

(١) تفسير أبي السعود ١ –٢٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطلاق، باب إذا طلقها ثلاثا ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح.

(٣) تفسير أبي السعود ١ –٢٢٧.

(٤) ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم ج١٠–٣، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط/ ٢، ١٣٩٢هـ،والجامع لأحكام القرآن ٣ – ١٢٨.

ثم يذكر الإمام أبو السعود ما ذهب إليه الجمهور من أنَّ المطلقة ثلاثاً لا تحل لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها، فأمَّا مجرد عقده عليها فلا يبيحها للأول.

وبهذا قال جميع العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وحجتهم أنَّ هذا الحديث المذكور في شأن امرأة رفاعة صار مخصصاً لعموم الآية، ومبين للمراد بها([1])، وهذا معنى قول الإمام أبي السعود" وبمثله تجوز الزيادة على الكتاب" وقد يستفاد من الآية نفسها ما ذهب إليه الجمهور؛ وذلك على اعتبار أنَّ(تنكح) بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج. وربما ذكر ذلك الإمام أبو السعود لما قد يترتب على القول بأنَّ الوطء قد ثبت بالسنة في شأن امرأة رفاعة" من نسخ القرآن بخبر الواحد، وهذا غير جائز كما ذكر ذلك الإمام الرازي في المحصول([2])، أما إذا حمل النكاح على الوطء، وحمل قوله:

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ج١٠ – ٣.

(٢) مسألة نسخ الكتاب بالسنة مسألة مشهورة في كتب الأصول وكتب الفقه وعلوم القرآن. . قال الرازي في المحصول (٣ / ٥١٩ – ٥٢٢ ط / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – الأولى، ١٤٠٠ هـ):"نسخ الكتاب بالسنة المتواترة جائز وواقع. وقال الشافعي (ﷺ): لم يقع. . ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز بالإجماع". وقال الآمدي في الإحكام (٣ – ١٦٥ ط /دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ): "قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة. وإليه ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه وأجاز ذلك جمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة ومن الفقهاء مالك وأصحاب أبي حنيفة وابن سريج".
وقال الزركشي في البرهان في علوم القرآن (٢ – ٣٢): "واختلف في نسخ الكتاب بالسنة قال ابن عطية: حذّاق الأمة على الجواز وذلك موجود في قوله (ﷺ): "لا وصية لوارث" وأبى الشافعي ذلك والحجة عليه من قوله في "إسقاط الجلد في حد الزنا عن الثيب الذي رجم "فأنه لا مسقط لذلك إلا السنة فُعل النبي (ﷺ). . . =

زوجاً على العقد، لم يلزم هذا الإشكال"(١).

* ومن اقتصاره على مذهبه الحنفي دون تعرض لبقية المذاهب ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ(٢))** حيث قال: "عطفُ الأخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بياناً لفضلهما؛ فإنَّ ثمرة النخل فاكهة وغذاء، والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة (رحمه الله) من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث"(٣).

في هذا النموذج يكتفي الإمام أبو السعود بما قاله الإمام أبو حنيفة، في أمر من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث، ولم يفصل الإمام أبو السعود المسألة في ذلك، ودليل أبي حنيفة (رحمه الله) أنَّ العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يليق بالحكمة ذكر الشيء الواحد بلفظين

=فمراد الشافعي إذنْ أن الكتاب والسنة لا يوجدان مختلفين إلا ومع أحدهما مثله ناسخ له وهذا تعظيم لقدر الوجهين وإبانة تعاضدهما وتوافقهما وكل من تكلم على هذه المسألة لم يفهم مراده. "هـ بتصرف.

فالراجح في المسألة هو ما ذهب إليه الجمهور ومدار ذلك الرجحان ما ذكره أبو المعالي الجويني حيث قال: ". . الحق المبين أن نسخ الكتاب بالسنة غير ممتنع والمسألة دائرة على حرفٍ واحد وهو أنَّ الرسول لا يقول من تلقاء نفسه أمراً وإنما يبلغ ما يؤمر به كيف فرض الأمر ولا امتناع بأنَّ يخبر الرسول الأمة مبلغاً بأن حكم آية يذكرها قد رفع عنكم ويرجع حاصل القول في المسألة إلى أنَّ النسخ لا يقع إلا بأمر الله – تعالى– ولا ناسخ إلا الله. . . ". (البرهان في أصول الفقه ٢ –٨٥٠ لـ/ الإمام الجويني. ط/الوفاء– المنصورة – مصر ـ ط ٤، ١٤١٨هـ تحقيق: د/ عبد العظيم محمود الديب.

(١) ينظر مفاتيح الغيب ٦ –٤٤٩.

(٢) سورة الرحمن آية رقم: ٦٨.

(٣) تفسير أبي السعود ٨ –١٨٦.

مختلفين في موضع المنة. والعنب والرمان يكتفى بهما في بعض البلدان فلا يكون فاكهة؛ ولأنَّ ما كان فاكهة لا فرق بين رطبه ويابسه، ويابس هذه الأشياء لا يعد فاكهة فكذلك رطبها.

وخالفه صاحباه فقالا: يحنث؛ لأنَّ هذه الأشياء من أعز الفواكه، وتؤكل على وجه التنعم. والإفراد لها بالذكر في كتاب الله (ﷻ) لكمال معانيها؛ كتخصيص جبريل وميكائيل من الملائكة.(١)

قلت: هذه نماذجُ فقهية أوردها الإمامُ أبو السعود في تفسيره؛ وقد رأينا من خلالها إيجازه (رحمه الله) في سوق المذاهب الفقهية، دون الخوض في ذكر الأدلة، مع الإشارة حيناً بعد آخر إلى مذهبه الحنفي، دون تعصب أو رفض لغيره من المذاهب.

ونواصل الحديث عن منهج الإمام أبي السعود في تفسيره من خلال تناوله لبعض المسائل العقدية.

المطلب الثالث

العقيدة في تفسير الإرشاد

من المعلوم لدى دارسي كتاب الله – تعالى –أن علمَ العقائد – والذي هو علم يتصل بالإلهيات، والنبوات، والسمعيات – علمٌ جدُّ خطير، إذ يجب على المفسر أن يكون على دراية كاملة بما يجب لله – تعالى – وما يجوز وما يستحيل في حقه – تعالى–، وما يجب في حق الأنبياء من العصمة والتبليغ إلى غير ذلك من بحوث هذا العلم..

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢ –١١٤.

وإمامُنا أبو السعود في تفسيره لا يغفل هذه المسائل العقدية بل نجده سنياً يدافع عن عقيدته سائراً على طريقة السلف غير غافل عن طريقة الخلف(١) والانتفاع بها، قائلاً بعذاب القبر مثبتاً – مثل غيره من أهل السنة – لرؤية الله – تعالى – يوم القيامة.

إلى آخر هذه المسائل التي تطلعنا على عقيدة راسخة، ومنهج متوازن يسير مع مقتضيات العقل وأصول الشريعة.

وفيما يلي بيان ذلك:

*** يقول (رحمه الله) في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ..)** الآية(٢): "أي استوى أمره واستولى وعن أصحابنا أنَّ الاستواء على العرش صفة لله – تعالى– بلا كيف والمعنى أنه – تعالى– استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن"(٣).

في هذا النموذج يسوق الإمام أبو السعود ما ذكره الخلف في أمر استواء الله (جل جلاله) على العرش حيث يؤلون ذلك بمعنى استوى أمره واستولى، ثم يسوق ما ذهب إليه السلف بقوله: وعن أصحابناأنَّ الاستواء على العرش صفة لله – تعالى– بلا كيف.

---

(١) في كلٍّ من السلف والخلف قولان حكاهما البيجوري في شرحه على جوهرة التوحيد: أمَّا السلف فهم من كانوا قبل الخمسمائة وقيل: إنهم القرون الثلاثة، الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، وأمَّا الخلف فهم من كانوا بعد الخمسمائة وقيل: إنهم من بعد القرون الثلاثة. (تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٧. ط / الحلبي).

(٢) سورة الأعراف آية رقم: ٥٤.

(٣) تفسير أبي السعود ٣ – ٢٣١.

ولعلَّ ذكره لما ذهب إليه الخلف أوَّلاً لما في طريقتهم من الإحكام.. وهذ قريب مما ذكره اللقاني([1]) في جوهرته حيث قال:

وكلُّ نصٍّ أوْهمَ التشبيها ** أوِّلْه أو فوِّض ورم تنزيهاً

وفي شرحه يقول الإمام البيجوري([2]): "وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الإيضاح، والرد على الخصوم، وهي الأرجح. ولذلك قدمها المصنف، وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد لله – تعالى–"([3]).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنَّ بعض السلف قد صار إلى التأويل لضرورة الرد على الخصوم وهي دعاوى المشبهة والمجسمة إزاء هذه النصوص وتشبثهم بما يوهم ظاهرها من التشبيه والتجسيم.

يقول الإمام النووي عند شرحه لحديث النزول([4]): "هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان، ومختصرهما أن:

---

(١) هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، أبو الإمداد، برهان الدين: فاضل متصوف مصري مالكي. نسبته إلى (لقانة) من البحيرة بمصر. توفي بقرب العقبة عائداً من الحج سنة ١٠٤١ هـ = ١٦٣١ م. (الأعلام ١ –٢٨).

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، الشافعي. شيخ الجامع الأزهر. ولد في الباجور، إحدى قرى المنوفية بمصر. توفي سنة ١٢٧٧ هـ= ١٨٦٠ م. (معجم المؤلفين ١ –٨٤).

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٨.

(٤) لفظه: .. عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: ينزل ربنا – تبارك وتعالى – كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له. (صحيح مسلم (بشرح النووي ٣–١٥٤ طـ/دار الغد) كتاب الصلاة، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه رقم: ١٧٤١).

أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنها يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله – تعالى– وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله – تعالى– عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي([1]) أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث (أي حديث النزول) تأويلين:

- **أحدهما:** تأويل مالك بن أنس وغيره ومعناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره.
- **والثاني:** أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف والله أعلم"([2]).

وأمَّا من أوَّل من السلف – وكما هو مذهب الخلف – فالاضطرارهم إلى ذلك لكثرة المبتدعين وإنما دعت الضرورة لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي [٨٨-١٥٧ هـ = ٧٠٧ – ٧٧٤ م] من قبيلة الأوزاع أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد..، سكن بيروت وتوفى بها وعرض عليه القضاء فامتنع وكانت الفتيا تدور في الأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام. (الأعلام ٣-٣٢٠).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم م ٣ ــ ص ١٥٧، طـ / دار الغد. عند شرحه لحديث النزول كتاب الصلاة باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه رقم: ١٧٤١.

ولا يخفى في نهاية الأمر على طالب العلم أنَّ السلف والخلف منزهون لـه (ﷻ) عن ذوات وصفات خلقه، وأنَّ محاولة البعض إيجاد عدواة بينهما إنما هو لقلة العلم والفهم.

* ومن نماذج الصفات الخبرية(١) التي ينحو فيها الإمام أبو السعود منحى الخلف حيث يؤلونها على ما يليق بالله – تعالى– مستعيناً في ذلك بسياق الكلام والذي يعد معونة على فهم اللفظ ودلالته، من الحقيقة أو المجاز.. ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ..**) الآية.(٢) حيث قال: "أرادوا بذلك – لعنهم الله – أنه – تعالى– ممسك يقتر بالرزق؛ فإن كلاً من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك إلى إثبات يد وغل أو

---

(١) الصفات الخبرية: وتسمى النقلية، والسمعية، وهي التي لا تعرف إلا عن طريق النص، فطريق معرفتها النص فقط.

والمعني بها صفات ذات خصيصتين:

أولاهما: أن العقل لا يوجب اتصافه – تعالى – بشيء منها، بمعنى أنه لا تتوقف – البتة – عند العقل على ثبوت شيء من تلك الصفات إلهيته – سبحانه –، فيخرج عن هذه التسمية الصفات الواجبة له عقلاً كالقدرة والإرادة والعلم والحياة.

ثانيهما: أنا لا نعلم من حقائقها اللغوية إلا أبعاضاً أو أعراضاً جسمانية أو وجدانية نفسية محدثة لا يليق قيامها بالرب – جل وعلا – فيخرج عن هذه التسمية، كذلك ما لا يفهم عنه تلك المظاهر الجسمانية والأعراض النفسية كبعض صفات أفعاله من نحو كونه خالقاً، رازقاً، غفّاراً مثلاً، كما يخرج عنها ما نعقل بيسر من حقائقها ما لا يختص بتلك المظاهر والأعراض المحدثة كالسمع والبصر والكلام. . . (ينظر: الدخيل في التفسير ص ١٥٦ لـ/أ. د: إبراهيم عبد الرحمن خليفة (رحمه الله) ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م بدون ذكر المطبعة).

(٢) سورة المائدة آية رقم: ٦٤.

بسط ألا يرى أنهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جاد الحمى... **(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)** عطف على مقدر يقتضيه المقام أي: كلاَّ ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود وإليه أشير بتثنية اليد؛ فإن أقصى ما ينتهي إليه همم الأسخياء أنْ يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل: التثنية للتنبيه على منحه – تعالى– لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل: على إعطائه إكراماً وعلى إعطائه استدراجاً **(يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)** جملة مستأنفة واردة لتأكيد كمال جوده.."(١).

* ويقول في تفسير قوله تعالى **(وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ)**: "أي بقوة"(٢).

* ويقول في تفسير قوله – تعالى– لإبليس – عليه اللعنة –: **(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ(٣))**: "أي بغير واسطة على وجه الاعتناء به"(٤).

* وفي تفسير قوله تعالى: **(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ(٥))** يقول: ".. المعنى أنَّ عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله – تعالى – من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى: **(من يطع الرسول فقد أطاع الله(٦))**"(٧).

---

(١) تفسير أبي السعود ٣ –٥٨.

(٢) المصدر السابق ٨ – ١٤٢.

(٣) سورة ص آية رقم: ٧٥.

(٤) تفسير أبي السعود ٣ – ٢١٦. ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: **(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)** (سورة الأعراف آية رقم: ١٢).

(٥) سورة الفتح آية رقم: ١٠.

(٦) سورة النساء آية رقم: ٨٠.

(٧) تفسير أبي السعود ٨ – ١٠٦.

في هذه النماذج لا يعدو الإمام أبو السعود ما ذكره الخلف في معنى اليد بالنسبة لله – تعالى –، وأنها على سبيل المجاز من الجود أو القوة أو الاعتناء أو الميثاق حسب ما يقتضيه المقام.

* ومن النماذج العقدية أيضاً في تفسير الإرشاد ما ذكره الإمام أبو السعود في تفسير قوله تعالى: **(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**(١)). حيث قال: "عرضهم على النار بإحراقهم بها من قولهم: عرض الأسارى على السيف اذا قتلوا به، وذلك لأرواحهم كما روى ابن مسعود (ﷺ) أنَّ أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار بكرةً وعشياً الى يوم القيامة"(٢).

في هذا المثال تصريح بعقيدة أهل السنة في إثبات عذاب القبر لا كما يقول بعض المعتزلة والروافض(٣).

---

(١) سورة غافر آية رقم: ٤٦.

(٢) تفسير أبي السعود ٧ – ٢٧٩. والأثر المذكور عن ابن مسعود، أخرجه ابن أبي حاتم موقوفاً عنه. ينظر: تفسير القرآن العظيم.. لابن أبي حاتم ١٢ – ١٨١. ط / بيروت – الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٣) يستند المنكرون من المعتزلة والروافض لعذاب القبر أن الميت جماد لا حياة له ولا إدراك فتعذيبه محال، ويجاب عليهم – بعد ثبوت عذاب القبر بالأدلة السمعية بأن الله – تعالى– يجوز أن يخلق في جميع الأجزاء أو في بعضها نوعاً من الحياة، قدر ما يدرك ألم العذاب أو لذة التنعيم. وهذا لا يستلزم إعادة الروح إلى بدنه، ولا أن يتحرك ويضطرب، أو يرى أثر العذاب عليه، حتى أن الغريق في الماء أو المأكول في بطون الحيوانات، أو المصلوب في الهواء، يعذب وإن لم نطلع عليه. ومن تأمل في عجائب ملكه – تعالى – وملكوته وغرائب قدرته وجبروته، لم يستبعد أمثال ذلك فضلاً عن الاستحالة ". (شرح العقائد النسفية ص٩٧. لـ/ سعد الدين التفتازاني، ومعه كتاب العقائد النسفية لـ/ نجم الدين النسفي السمرقندي – ط – المكتبة الأزهرية للتراث – الأولى ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م).

* وفي مسألة رؤية الله – تعالى– في الآخرة نرى عقيدة الإمام أبي السعود فيها واضحة كما هي عقيدة أهل السنة(١). حيث يقول في تفسير قوله تعالى: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٢))**: "معنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه – تعالى– مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده– تعالى– بلا كيف ولا على جهة.."(٣).

في هذ المثال يذكر الإمام أبو السعود بنفس عبارة الإمام البيضاوي(٤) ما ذهب إليه أهل السنة في جواز رؤيةالمؤمنين له (ﷻ) في الآخرة بلا كيف.

*وقريب من ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ(٥))**: "لا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين"(٦)

والنماذج في هذا المطلب كثيرة كلها تؤكد على أنَّ منحى الإمام أبي السعود في عقيدته هو مذهب السلف مع التأكيد على مذهب الخلف فيما له تخريجات عقلية تتفق مع الدلالات اللفظية المحكومة بالسياق.

---

(١) عقيدة أهل السنة في رؤية الله – تعالى–: أنها جائزة عقلاً في الدنيا بمعنى أن العقل إذا خلى نفسه لم يحكم بامتناع رؤيته، ما لم يقم له برهان على ذلك، مع أن الأصل عدمه، فمن ادَّعى الامتناع فعليه البيان، وأما الرؤية في الآخرة فواجبة بالنقل ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية الله – تعالى –. (شرح العقائد النسفية "باختصار "ص٧٤و٧٦و٧٧).

(٢) سورة القيامة آية رقم: ٢٢ – ٢٣.

(٣) تفسير أبي السعود ٩ – ٦٧.

(٤) ينظر: انوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ – ٢٦٧.

(٥) سورة المطففين آية رقم: ١٥.

(٦) تفسير أبي السعود ٩ – ١٢٧.

ومن الأمور التي يفتش عنها الباحثون في أيِّ تفسير للتعرف على منهج صاحبه فيه هو موقفه من الإسرائيليات، إذْ لا شك أن ذلك يطلعنا على جانبٍ من ثقافة المفسر، ومدى أمانته العلمية في النقل، وتمحيصه أو عدم تمحيصه فيما ينقله.

وفيما يلي التعرف على موقف الإمام أبي السعود من الإسرائيليات.

المطلب الرابع

الإسرائيليات وموقف الإمام أبي السعود منها

تعتبر الإسرائيليات المخالفة للشرع الحنيف والدين القويم.. من أخطر ما تسرَّب إلى بعض كتب التفسير خاصة، وإلى التراث الإسلامي عامة.. إذ هي في حقيقتها أساطير وخرافات لا تمت إلى الحقيقة بصلة(١).

ومما يلفت النظر ويجعلنا في حيرة من أمرنا أنَّ تلك الإسرائيليات لا تجد مِن بعض مَنْ نقلها(٢) أيَّ ردٍّ أو تمحيص أو حتى بيان وجهة النظر في سبب

---

(١) في بيان معنى الإسرائيليات يقول الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي (رحمه الله): "لفظ الإسرائيليات- كما هو ظاهر- جمع مفردة إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلي إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر، وإليه ينسب اليهود فيقال بنو إسرائيل.

ولفظ الإسرائيليات – وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يروى أصلاً عن مصادر يهودية – يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه علي ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدلُّ على ما تطرَّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما. . "هـ (الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٣. للأستاذ الدكتور / محمد حسين الذهبي –مكتبة وهبة- الرابعة ١٤١١هـ – ١٩٩٠م).

(٢) كجامع البيان للطبري، ومعالم التنزيل للبغوي، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي. . وغيرها من كتب التفاسير.

نقلها وتسجيلها.. وهذا يستدعي دراسة مستقلة تُعنى بالأسباب التي أدت إلى ذلك، والدوافع التي أسكتت هؤلاء عن التعقيب والتحقيق..

وإذا كنا بإزاء هذه الدراسة في تفسير الإمام أبي السعود وتعرفنا على المنهج العلمي فيه فإنَّ أحد مميزات هذا التفسير – وكما ذكر الشيخ أبو شهبة–: "خلوه غالباً من القصص الإسرائيلي، وإذا ذكر شيئاً منه فإنه يذكره مضعفاً له، أو منكراً أو مبطلاً، ومبيناً منشأه.. ، وربما ذكر بعض الإسرائيليات التي فيها غرابة وبُعْد دون تعقيب عليها"(١).

ومن النماذج التي تبين ذلك:

* ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمان وَما كَفَرَ سُلَيْمان وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما انزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ...)**الآية(٢) حيث قال – بعد أنْ ذكر الوجه الصحيح في أمر الملكين –: "وأمَّا ما يحكى من أن الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا لله – سبحانه – هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الأرض يعصونك فيها فقال (ﷻ): لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني... فمِمَّا لا تعويل عليه لما أن مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل"(٣)

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٤٤.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ١٠٢ .

(٣) تفسير أبي السعود ١ – ١٣٨.

هكذا يرد الإمام أبو السعود هذه القصة، ولم ينخدع بما ورد في شأنها من روايات منسوبة إلى بعض الصحابة، والتابعين([1]) والتي جعلت الحافظ ابن حجر يقول: بأنَّ للقصة أصلاً.([2])!!

* ومن نماذج رده أيضاً للإسرائيليات الباطلة وتحذيره منها ما ورد في تفسيره لقوله تعالى: **(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا ان رَأى بُرْهَان رَبِّه([3]))** حيث ذكر ما روي من الإسرائيليات في رؤية يوسف (عليه السلام) لبرهان ربه([4])، ثم قال: "إنْ كلٌّ ذلك إلا خرافات، وأباطيل تمجها الآذان، وتردها العقول، والأذهان، ويل لمن لاكها ولفقها، و سمعهاوصدقها"([5]).

* ومن ذلك رده على ما نسب إلى نبي الله داوود (عليه السلام) عند تفسيره لقوله تعالى: **(وَظَنَّ دَاوُودُ انمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَاناب([6]))** من أنه أبصر امرأة جميلة.. وهي امرأة أوريا، وأنه احتال على قتله حتى قتل وتزوج امرأته.. حيث قال: "هذا إفك مبتدع مكروه ومكرٌ مخترع بئسما مكَروه تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه وأشاعه وتباً لمن اخترعه وأذاعه

---

(١) ينظر: جامع البيان ٢ / ٤٢٧ – ٤٣٥.

(٢) ذكر ذلك عند شرحه لحديث رقم: ٥٧٦٣ كتاب الطب باب السحر، (فتح الباري ١٠ – ٢٣٥ ط الريان).

(٣) سورة يوسف آية رقم: ٢٤.

(٤) من تلك الإسرائيليات: أنه سمع صوتاً: إياك وإياها، فلم يكتري. . إلى أنْ تمثل له يعقوب (عليه السلام) عاضاً على أنملته، ومنها أنه بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين). ينظر: تفسير أبي السعود ٤ – ٢٦٦.

(٥) تفسير أبي السعود ٤ – ٢٦٧.

(٦) سورة ص آية رقم: ٢٤.

ولذلك قال علي (ﷺ): من حدَّث بحديث داود (عليه السلام) على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حدِّ الفرية على الأنبياء – صلوات الله – تعالى– وسلامه عليهم–"([1]).

* ومن ذكره لبعض الإسرائيليات التي فيها غرابة وبُعْد دون تعقيب عليها ما ذكره في تفسير قوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا)**الآية([2]) حيث ذكر ما قيل في شأن عوج من عنق وأنَّ طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وقد عاش ثلاثة آلاف سنة... إلى آخر ذلك مما هو مردود من حيث العقل والنقل، وقد يعتذر للإمام أبي السعود بانه أورد ذلك بصيغة التضعيف: "وقيل([3])" مما يُشعر بضعفه.

* ومن ذلك ما ذكره في تفسيرقوله تعالى من سورة النمل: **(وَإِنِي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المرسلون([4]))**حيث قال: "رُوي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهم الأساور والأطواق..."([5]) إلى آخر ما ذكره من هذه القصة العجيبة الغريبة، ومع ذلك لم يُعَقِّب عليها ولا بكلمة واحدة، ولعله اكتفى بما يشير إليه لفظ" رُوي" من عدم صحته.

---

(١) تفسير أبي السعود ٧ – ٢٢٢. والأثر المذكور عن الإمام علي (ﷺ) قال فيه الإمام ابن حجر: لم أَجِدهُ. (ينظر: الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي ٢ – ٩٦٢. لـ/ عبد الرؤوف المناوي. ط/ دار العاصمة – الرياض.

(٢) سورة المائدة آية رقم: ١٢.

(٣) تفسير أبي السعود ٣ –١٤.

(٤) سورة النمل آية رقم:٣٥.

(٥) تفسير أبي السعود آية رقم: ٦ – ٢٨٤.

ومما يلتحق بالإسرائيليات المرذولة الأحاديث الموضوعة([1]).

* وموقف الإمام أبي السعود منها أنه قد يقع في إيراد بعضها تبعاً لمن ينقل عنهم ومن ذلك أنه أوردما ذكره صاحب الكشاف، وصاحب أنوار التنزيل في آخر كل سورة حديثاً عن النبي (ﷺ) في فضلها، وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله، مع أنَّ هذه الأحاديث موضوعة([2]).

* وذلك مثل الحديث الذي ذكره في فضل سورة الفاتحة، حيث قال: "وعن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: إنَّ القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب (الحمد لله رب العالمين) فيسمعه الله – تعالى– فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة"([3]).

وهذا الحديث قال فيه صاحب كتاب "الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي": "أخرجه الثعلبي في تفسيره وهو موضوع"([4]).

---

(١) الخبر الموضوع: لغة:. . . "الملصق"، يقال: وضع فلان على فلان كذا أي ألصقه به، وهو – يعني الوضع – الحطّ والإسقاط، لكن الأول أليق بهذه الحيثية. واصطلاحاً: [الكذب] على رسول الله (ﷺ) [المختلَق] –بفتح اللام– الذي لا ينسب إليه بوجه [المصنوع] من واضعه. (ينظر: فتح المغيث للسخاوي١–٢٥٢ ط/ دار الكتب العلمية – بيروت– ط١–١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م).

(٢) قال ابن الصلاح في مقدمته في النوع الحادي والعشرين (معرفة الموضوع): "قد وُضِعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها. . . إلى أن قال: "وهكذا حال الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي (ﷺ) في فضل القرآن سورة فسورة. بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه، وان أثر الوضع لبين عليه. ولقد أخطأ الواحدي المفسر، ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم. والله أعلم. (مقدمة ابن الصلاح ص ٤٧ مكتبة المتنبي).

(٣) تفسير أبي السعود ١ –٢٠.

(٤) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي ١ – ١١٩.

* ومن روايته عمن اتهم بالكذب ما ذكره في تفسير قوله تعالى من سورة سبأ: **(فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا انفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ان فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(١))** حيث قال: "وأصل قصتهم ما رواه الكلبي عن أبى صالح أن عمرو ابن عامر من أولاد سبأ، وبينهما اثنى عشر أباً، وهو الذى يقال له: "مزيقيا بن ماء السماء"، أخبرته" طريفة"الكاهنة بخراب سد مأرب، وتغريق سيل العرم الجنَّتين.."(٢).

مع العلم أنَّ الكلبى مُتَّهم بالكذب، فقد قال السيوطي في خاتمة الدر المنثور ما نصه: "الكلبى اتهموه بالكذب وقد مَرِض فقال لأصحابه في مرضه: كلُّ شيء حدَّثتكم عن أبى صالح كذب"(٣).

وقد يعتذر أيضا للإمام أبي السعود في مثل تلك الرواية، وغيرها مما ساقه في تفسير تلك الآية أنه فوض العلم في ذلك إلى الله تعالى بقوله: "والله تعالى أعلم"(٤).

وجملة القول في هذا المطلب أنَّ ما ورد في تفسير الإرشاد من الدخيل سواء كان إسرائيليات مرذولة أو أحاديث مكذوبة لا يمثل إلا نسبة قليلة، وهذا القليل في كثير من الأحيان يرده الإمام أبو السعود بصريح القول، وبعضها يسوقه بما يفهم منه رده لها، أو على أقل تقدير تشككه فيها.

---

(١) سورة سبأ آية رقم: ١٩.

(٢) تفسير أبي السعود ٧ –١٢٩.

(٣) الدر المنثور ٨ – ٧٠٠. دار الفكر – بيروت.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود ٧ – ١٣٠.

وبعد هذا المطلب نأتي إلى زبدة الحديث في هذا التفسير، والسبب المباشرفي تميزه من بين كتب التفاسير. وهذا ما سأتناوله في المطلب التالي بعون الله وتوفيقه.

المطلب الخامس

اللغة والبلاغة في تفسير الإمام أبي السعود

لا يخفى أن كلَّ محاولة لتفسير القرآن الكريم بعيداً عن اللغة العربية، أو عن تراكيبها ومفاهيمها ومفرداتها، وضوابط الجمل فيها مردودة في وجوه أصحابها، لا تقبل بإجماع المسلمين، ولو تركت فوضى الفهم تنطلق حيث أرادت وأبيح لكل إنسان أن يفسر فيحمل الجمل والتراكيب، ما لا مصدر له إلاَّ رأيه الشخصي أو هواه، فإنَّ معنى هذا أنَّا لقرآن سيخرج عن قواعده، بل سيوجد من يستخرج من التوحيد شركاً، ومن يقلب كل قصة فيه لمصلحته.(١)

ويعدالإمام أبو السعود في التزامه بقواعد اللغة، واستظهار البلاغة علم من الأعلام شهد له بذلك القاصي والداني..

يقول صاحب كتاب "الفوائد البهية في تراجم الحنفية": "وقد طالعتُ تفسيره وانتفعتُ به وهو تفسير حسن، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، متضمن لطائف ونكات، ومشتمل على فوائد وإشارات". ونقل عن صاحب" الكشف" أنه قال: "انتشرت نسخه في الأقطار، ووقع له التلقي بالقبول من الفحول الكبار، لحسن سبكه وصدق تعبيره"، فصار يقال له: "خطيب

(١) عبارة للشيخ محمد الغزالي، من ندوة مجلة لواء الإسلام ــ السنة السابعة والعشرون، العدد ٨: ٣٧.

المفسرين"ومن المعلوم أنَّ تفسير أحد سواه بعد الكشاف والقاضي لم يبلغ إلى ما بلغ رتبة الاعتبار والاشتهار([1]).

ويقول صاحب كتاب "العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم" وقد أتى فيه بما لم تسمح به الأزمان، ولم تقرع به الآذان، فصدق المثل السائر: كم تـرك الأول للآخر"([2]).

ويذكر لنا الأستاذ الدكتور محمد الذهبي أنه قرأ في تفـسير الإمـام أبـي السعود فلاحظ عليه "أنه كثير العناية بسبك العبارة وصوغها، مولع كل الولـوع بالناحية البلاغية للقرآن، وأن جل اهتمامه الكشف عن نواحي القرآن البلاغيـة، وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، وبخاصة في باب الفصل والوصل، والإيجـاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والاعتراض والتذييل، كما أنه يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طيَّاتها، مما لا يكاد يظهـر إلا لمـن أوتى حظاً وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية، ويكاد يكـون الإمـام أبـو السعود هو أول المفسِّرين المبرزين في هذه الناحية".([3])

وفيما يلي بيان ذلك من خلال النماذج.

* **يقول (رحمه الله) في تفسيره للبسملة:** "والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما أنها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الأفعال ومعناها الاستعانةأو الملابسة تبركاً؛ أي باسم الله أقرأ أو أتلو. وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في (إياك نعبد).

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٨٢، وينظر: كشف الظنون ١ – ١.

(٢) العقد المنظوم على ذيل كتاب الشقائق النعمانية ص ٤٤٤.

(٣) التفسير والمفسرون ١– ٢٤٨.

وتقدير (ابدأ) لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخلٌ بما هو المقصود أعنى شمول البركة للكل وادعاء أن فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معاً وفي تقدير اقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فإن مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله إذ لم يقل في الحديث الكريم: كل أمر ذي بال لم يقل فيه أو لم يضمر فيه (أبدأ)"(١).

في هذا النموذج يذكر الإمام أبو السعود ما ذكره قبله الإمام الزمخشري من أنَّ الباء في **(بسم الله)** متعلقة بمضمر، وأنَّ هذا المضمر يعرف من الفعل المصدر بها فإنْ كان القصد إحداث القراءة كان المضمر فعل القراءة، وإنْ كان القصد إحداث الحلول في المكان كان المضمر فعل الحلول، وإن كان القصد إحداث الترحال كان المضمر فعل الترحال، والتقدير في الأول باسم الله أقرأ، وفي الثاني باسم الله أحل في هذا المكان مثلاً، وفي الثالث باسم الله أرتحل.. إلى غير ذلك مما يناسب الفعل المبدوء به.(٢)

ثم إنَّ الإمامَ أبا السعود ذهب إلى ما ذهب إليه أهلُ الكوفة من أنَّ الباء هنا قد تعلقت بفعل وليس باسم كما قال البصريون(٣)، ثم ذكرما قال به بعض الكوفيين من أنَّ تقدير هذا الفعل بعد الباء وليس قبله، وعلى ذلك يكون تقديم

---

(١) تفسير أبي السعود ١ – ٩.

(٢) ينظر: الكشاف ١ – ٢.

(٣) ذهب بعض البصريين إلى أنَّ المحذوفَ مبتدأ حذف هو وخبره وبقي معموله، تقديره: ابتدائي باسم الله كائنٌ أو مستقرٌ، أو قراءتي باسم الله كائنة أو مستقرة. وذهب بعضهم إلى أنه خبر حذف هو ومبتدؤه أيضاً وبقي معموله قائماً مقامه، والتقدير: ابتدائي كائنٌ باسم الله، أو قراءتي كائنةٌ باسم الله. فهو على الأول منصوب المحل وعلى الثاني مرفوعه لقيامه مقام الخبر. (ينظر: الدر المصون ١ – ٢٢. لـ / السمين الحلبي. ط/ دار القلم، دمشق).

المتعلِق (بكسر اللام) وهو الباء وتأخير المتعلَق به (بفتح اللام) وهو الفعل لإفادة حكمة بلاغية وهي إفادة الاختصاص كما في إياك نعبد(١) وقد نحا إلى هذا القول الإمام الزمخشري معللاً أنَّ الأهم من الفعل (المتعلَق به) هو المتعلِق لأنهم كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون: باسم اللات، باسم العزى، فوجب أنْ يقصد الموحِّدُ معنى اختصاص اسم اللَّه (ﷻ) بالابتداء، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل.(٢)

ثم يبين الإمام أبو السعود شيئاً آخر وهو أنه لا يجوز تقدير الفعل المضمر بـ(أبدأ) وإنما يقدر من جنس الفعل المقصود إحداثه كما سبق في: باسم الله أقرأ، باسم الله أحل، باسم الله أرتحل إلى غير ذلك.

وإنما لم يجز تقدير الفعل المضمر بـ(أبدأ) كما في حديث النبي (ﷺ): "كل أمر ذي بال لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ"(٣) لأنَّ التبرك المستفاد من الباء سيكون مقتصراً على بدايةالفعل فقط، وهذا مخلٌّ إذ المقصود شمول البركة للفعل كله.

---

(١) ينظر الدر المصون ١ / ٢٢ – ٢٣، والكشاف ١ – ٣.

(٢) الكشاف ١ – ٣.

(٣) قال الإمام النووي في كتاب الأذكار بعد أن ذكر الألفاظ المختلفة لهذا الحديث: "روينا هذه الألفاظ كلها في كتاب "الأربعين المتباينة الإسناد والبلاد "للحافظ عبد القادر الرهاوي، وهو حديث حسن، وقد رُوي موصولاً. . ، ورُوي مرسلاً، ورواية الموصول جيدة الإسناد، وإذا روي الحديث موصولاً ومرسلاً، فالحكم للاتصال عند جمهور العلماء، لإنها زيادة ثقة، وهي مقبولة عند الجماهير. (ينظر:الأذكار١ – ١١٢. للإمام النووي، ط/ دار الفكر– بيروت –١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

وعليه فإنّ مقصود الحديث هو امتثال البدء بالتسمية عند كل أمر ذي بـــال وليس المقصود إضمار (أبدأ) عند كل فعل، وقد سبق أن إضـــمار الفعـــل هنـــا يكون من عين المقصود فعله.

* ومن النماذج أيضا ما قاله في تفسير الآية الكريمة من سورة الفاتحة: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**(١)): "التفات من الغيبة إلى الخطاب وتلوين للنظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضى المقام.. -إلى أن يقول-: ".. ومما استأثر به هذا المقامُ الجليلُ من النكت الرائقة الدالة على أنَّ تخصيص العبادة والاستعانة به - تعالى- لما أجرى عليه من النعوت الجليلة التي أوجبت له - تعالى- أكمل تميز وأتم ظهور بحيث تبدَّلَ خفاءُ الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والإيذان بأن حق التالي بعدما تأمل فيما سلف من تفرده - تعالى - بذاته الأقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية... أنْ يترقى من رتبة البرهان إلى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة إلى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضراً في محاضر الأُنس كأنه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو.. قائلاً: يا مَنْ هذه شئون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فإن كل ما سواك كائناً ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق أن يعبد أو يستعان"(٢).

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم: ٥.

(٢) تفسير أبي السعود ١ – ١٦.

في هذا النموذج يبين الإمام أبو السعود وجه الالتفات(١) من الغيبة أي في قوله تعالى: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**(٢)) إلى الخطاب في قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) بأنه– سوى التنويع في العبارة – لنكتة بلاغية يستدعيها المقام وهو أنَّ المؤمن لمَّا استغرق في التعرف على الله – تعالى– من خلال صفاته الظاهرة على العالمين أوصله ذلك لأن يكون كأنه في حضرة ذاته – تعالى– يدعوه معترفاً بما اختص به من أمر العبادة والاستعانة.

* ومن النماذج ما قاله في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة (**الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ**(٣)): "والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل أن تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فـ (الم) جملة برأسها على أنها خبر لمبتدأ مضمر أو طائفة من

---

(١) الالتفات، أحد أنواع خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فهو من علم المعاني، ومعناه: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة أي (التكلم والخطاب والغيبة) بعد التعبير عنه بغيره منها.

ومِنْ فوائد الالتفات: – فَنِيِّةُ التَّنْوِيعِ في العبارة، المثير لانتباه المتلَقِّي، والباعث لنشاطه – الاقتصادُ والإيجازُ في التعبير– الإعراض عن المخاطبين، لأنهم عن البيانات معرضون أو مُدْبرون وغير مكترثين. – إفادة معنىً تتضمَّنُه العبارة الّتي حصل الالتفات إليها، وهذا المعنى لا يستفادُ إذا جرَى القول وفق مقتضى الظاهر. إلى غير ذلك من فوائد. . (حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري، على هامش شرح عقود الجمان للإمام السيوطي ص ٧٤، ط / الحلبي. والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ١ – ٤٨٠. لـ / عبد الرحمن حسن الميداني. ط/ دار القلم – دمشق – ط ١– ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م).

(٢) سورة الفاتحة آية رقم: ٢ – ٤.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ١ – ٢.

حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على أنَّ المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم و(ذلك الكتاب) جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه إذ لا فضل أعلى مما للحق واليقين و(هدى للمتقين) مع ما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقاً لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله.."(١).

في هذا النموذج يربط الإمام أبو السعود الجمل الواردة في هاتين الآيتين الكريمتين، وأن ما بينها هو كمال الاتصال(٢) على اعتبار أن جملة (ذلك الكتاب) مقررة لما تضمنته الآية الأولى من معنى التحدي المتمثل في سوق هذه الحروف مساق التهجي.. كما أن جملة لا ريب فيه، جاءت مقررة لما تضمنته جملة (ذلك الكتاب) من الدرجة القصوى من الكمال بجعل المبتدأ (ذلك) وتعريف الخبر باللام فجاءت جملة (لا ريب فيه) زيادة في بيان فضل هذا الكتاب ولتدفع ما قد يطرأ لدى السامع من أنْ يكون هذا الكتاب مظنة أنه مما يرمي به جزافاً من غير تحقق فأتبع (لا ريب فيه) نفياً لذلك. كما أنَّجملة

(١) تفسير أبي السعود ١ – ٢٩.

(٢) كمال الاتصال: هو أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تام، وذلك بأن تَكون الجملة الثانية توكيدًا للأولى، أَو بياناً لها، أو بدلاً منها. وهو أحد انواع الفصل والوصل؛ وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها وهو من أعظم أركان البلاغة حتى إن بعضهم حدَّ البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل، وقال عبدالقاهر: إنه لا يكمُل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كَمَل لسائر معاني البلاغة. (ينظر: دلائل الإعجاز ص ٢٢٢، لـ/ عبد القاهر الجرجاني – مكتبة الخانجى – القاهرة / ط الثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، وعلوم البلاغة ص ١٩٣. للشيخ أحمد مصطفى المراغي. ط / مطبعة محمد محمد مطر بالعتبة ١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٧م).

(هدى للمتقين) تؤكد هي الأخرى على كمال هذا الكتاب حيث بلغ في الهداية درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة وهذا معنى قوله (ذلك الكتاب) لأن معناه" الكتاب الكامل" والمراد بكماله كماله في الهداية. (١)

* ومن النماذج أيضاً ما قاله في تفسير قوله تعالى في صفات المؤمنين: **(أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٢))**: "(أولئك) إشارةٌ إلى الذينَ حُكيت خِصالُهم الحميدةُ(٣) من حيث اتصافُهم بها وفيهِ دلالةٌ على أنهم متميِّزون بذلك أكمل تميُّزٍ منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبُعد منزلتِهم في الفضلِ.. (على هُدًى).. إيرادُ كلمةِ الاستعلاء بناءً على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يَعْتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد أو على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارةً تبعية متفرّعةً على تشبيهه باعتلاء الراكبِ واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينةً للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوبِ للإيذان بقوةِ تمكّنهم منه وكمالِ رسوخهم فيه... وقولُه تعالى: **(وأولئك هُمُ المفلحون)** تكريرُ اسمِ الإشارة لإظهار مزيدِ العنايةِ بشأن المشارِ إليهم وللتنبيه على أنَّ اتصافَهم بتلك الصفات يقتضي نيلَ كلٍّ واحدةٍ من تَيْنكَ الأثَرتين وأن كلاً منهما كاف في تمييزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيطُ العاطف بين

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ص ١٤٨ الخطيب القزويني. ط/ دار إحياء العلوم – بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ٥.

(٣) أي في قوله تعالى: **(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا انزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)** [البقرة آية ٣-٤].

الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى (**أُوْلَئِكَ كالأنعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغافلون**([1])) فإن التسجيلَ عليهم بكمال الغفلة عبارةٌ عما يفيده تشبيهُهُم بالبهائم فتكون الجملةُ الثانية مقررةً للأولى وأما الإفلاحُ الذي هو عبارةٌ عن الفوز بالمطلوب فلمّا كان مغايراً للهدى نتيجةً له وكان كلٌّ منهما في نفسه أعزَّ مرامٍ يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل..."([2]).

في هذا النموذج يستخدم الإمام أبو السعود براعته البلاغية لإظهار ما اشتملت عليه تلك الآية الكريمة من معاني جليلة، وإن كانت عباراته في ذلك قريبة مما ذكره الإمامان الزمخشري([3]) والبيضاوي ([4]).

ويبدأ الإمام أبو السعود ببيان ما يفيده اسم الإشارة في قوله تعالى: (**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**) من منطلق أنَّ المشار إليهم قد سبق حكايةُ خِصالهم الحميدة وعليه فإن ذكر المسند إليهم معرفاً باسم الإشارة للبعيد يفيد:

"**أولاً:** الإشعار بعلو درجة المشار إليهم وبُعد منزلتِهم في الفضلِ..

ثانياً: التنبيه على اختصاصهم باستحقاق الهدى من ربهم والفوز بالفلاح آجلا من أجْلِ اتصافهم بالأوصاف المذكورة".([5])

ومِمَّا يضاف إلى ذلك أنَّ عبارة الإمام أبي السعود "وفيهِ (أي اسم الإشارة: أولئك) دلالةٌ على أنهم متميِّزون بذلك أكمل تميُّزٍ منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدةمما يشير إلى أن"حقيقة اسم الإشارةإذا كان للبعيد أن يكون بعداً

(١) سورة الأعراف آية رقم: ١٧٥.

(٢) تفسير أبي السعود ١ / ٣٣ – ٣٤. بإيجاز.

(٣) ينظر: الكشاف ١ –٣٦.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ –٣٧.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة ص٤٥، ومختصر المعاني ص٤٧ لـ/ سعد الدين التفتازاني. ط/دار الفكر، ط:١–١٤١١هـ.

مكانياً أو زمانياً وهو هنا ليدل على ارتفاع، ومكانة وعلو هؤلاء المؤمنين، وعلى ذلك ففي (أولئك) من الآية الكريمة مجاز التشبيه حيث شبه البعد في الرتب بالبعد من المكان والزمان"(١).

ثم يبين الإمام أبو السعود وجه إيراد كلمةِ الاستعلاء في جملة (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى) وأنها:

إمَّا على سبيل الاستعارة التمثيلية وحقيقتها أنْ تؤخذ أمور متعددة من المشبه وتجمع في الخاطر وكذا من المشبه به ويجعل المجموعات متشاركين في مجموع منتزع يشملهما(٢) ووجه الاستعارة هنا" تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يَعْتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد.

أو على أن يكون حرف الجر (على) مستعار لتمسكهم بالهدى استعارةً تبعية(٣) بأن شبه التمسك بالهدى عند المتقين بالتمكن من الدابة للراكب، وسرى التشبيه إلى معنى الحرف وهو (على).

أو على جعل (على) قرينةً للاستعارة بالكناية وهي أن يذكر المشبه ويراد به المشبه به مع نصب قرينة، وهي في الآية حرف الجر (على).

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز ص ١٠٨. لـ/ سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام – ط – دار الحديث ــ القاهرة.

(٢) الكليات ص ١٠١.

(٣) معنى الاستعارة التبعية أن يكون المستعار فعلاً أو صفةً أو حرفاً والمستعار له لفظ المشبه لا المشبه به. وقد تقرر في قواعد المعاني والبيان أن الاستعارة في الصفة والفعل وما يتعلق به وفي الحرف تبعية وفي الاسم أصلية.

والاستعارة الواقعة في الحروف إنما هي واقعة في متعلق معناها. . (ينظر: الكليات ص١٤١).

والمشبه هنا هو الهدى شبه بمركوب وحرف الاستعلاء الذي هو من لوازم المشبه به قرينة.. فأفاد ذلك قوة تمكّنِهم من الهدى وكمالِ رسوخهم فيه..."(١).

ولعلَّ تقديم الإمام أبي السعود للوجه الأول في الاستعارات الثلاث وهي كونها استعارة تمثيلية لترجح هذا الوجه عنده ويمكن استنباط ذلك من أمرين:

أولاً: اتباعاً لما ذكره الإمام الزمخشري بقوله: "ومعنى الاستعلاء في قوله (على هدى) مثل لتمكنهم من الهدى، واستقرارهم عليه، وتمسكهم به. شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه"(٢).

ثانياً: أنَّ اعتبار الاستعارة التمثيلية في الآية أرجح لأن تشبيه التمثيل منزع واضح لا كلفة فيه فيفيد تشبيه مجموع هيئة المتقين في اتصافهم بالهدى بهيئة الراكب إلخ بخلاف طريقة التبعية فإنها لا تفيد إلا تشبيه التمكن بالاستعلاء ثم يستفاد ما عدا ذلك بالتقييد..(٣).

ثم يواصل الإمام أبو السعود تفسيره للآية الكريمة فيذكر أن تكريرَ اسمِ الإشارة وهو المسند إليه في قوله تعالى: **(وأولئك هُمُ المفلحون)**- مع جواز حذفه لوجودِ قرينةٍ تدلُّ عليه – يفيد أمرين:

أولاً: إظهار مزيدِ العنايةِ والإيضاحِ بشأن المشارِ إليهم.(٤)

ثانياً: التنبيه على أنَّ اتصافَهم بتلك الصفات يقتضي نيلَ كلٍّ واحدةٍ من تَيْنكَ الأثَرَتين؛ **الأولى:** كونهم على الهدى **والثانية:** كونهم مفلحين، بدليل وجود

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١ –٢٤٢.

(٢) الكشاف ١ –٤٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١ –٢٤٤.

(٤) ينظر: مختصر المعانيص ٤١.

العاطف بينهما وهو ما يسمى في علم الفصل والوصل بالتوسط بين الكمالين(١) أي بين كمال الاتصال، وبين كمال الانقطاع(٢) إذ كونهم على الهدى مغاير لكونهم مفلحين، ومع هذا التغاير فإن هناك تلاؤماً فكريّاً بينهما لأنهما متكاملتان حول صفات المؤمنين وما يترتب على ذلك من فوز وفلاح لهم.

كما أنَّ الجملتين خبريّتان لفظاً ومعنى، فَحَسُنَ عطف التالية منهما بالواو على السابقة.(٣)

---

(١) من مواطن الفصل التوسط بين الكمالين (أي كمال الاتّصال وكمال الانقطاع) وهو يتحقق إذا اتحدت الجملتان في الخبرية أو الإنشائية، ولم يكن معهما سبب يقتضي الفصل بينهما، ووجدت مناسبة تامة، ورابطة تجمع بينهما في المعنى، وحينئذٍ يوصل بينهما بواو العطف. (شرح عقود الجمان ص ٦٣، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها١- ٥٩١).

(٢) كمال الانقطاع بين الجملتين يكون باختلافهما خبراً أو إنشاءً لفظاً ومعنىً؛ كقول الشاعر:

وقال رائدهم أرسوا نزاولها ** فحتفُ كل امرئ يجري بمقدار.

أي أوقفوا السفينة كي نباشر الحرب، ولا تخافوا من الموت، فإنَّ لكل أجل كتابا. . – فالمانع من العطف (بين ارسوا وبين نزاولها) أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلا، وهو كون إحداهما جملة خبرية، والأخرى إنشائية، ولا جامع بينهما. . (ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ص ١٤٨، ومختصر المعاني ص ١٣٨، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص١٨٤. لـ/ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي. ط/ المكتبة العصرية، بيروت. ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميلي.

(٣) مستفاد من: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ١ –٥٨٩، ومختصر المعاني ص ١٣٩.

ثم يبين الإمام أبو السعود وجه المغايرة بين هذه الآية الكريمة ووجود العاطف فيها وبين قوله تعالى: **(أُوْلَئِكَ كالأنعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغافلون**([1])).

حيث ترك العاطف بين الجملتين وذلك لما بينهما من كمال الاتصال فإنَّ التسجيلَ عليهم بكمال الغفلة هو مايفيده تشبيهُهُم بالبهائم في الجملة الأولى، فتكون الجملةُ الثانية مقررةً للأولى.

* ومن نماذج اهتمامه بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية ما قاله في تفسير قوله تعالى: **(الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ القرآنَ* خَلَقَ الْانسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ* الشَّمْسُ وَالْقَمَرُبِحُسْبَان* وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**([2])**:** ".. بُدئ بتعليم القرآن فقيل: **(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القرآنَ)** لأنه أعظم النعم شأناً وأرفعها مكاناً كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية...

وإسناد تعليمه الى اسم (الرحمن) للإيذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على أصالته وجلالة قدره ثم قيل: **(خَلَقَ الْانسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)** تعيينا للمُعلَّم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة، والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهْم بيان غيره أيضا إذ هو الذى يدور عليه تعليم القرآن، والجمل الثلاث أخبار مترادفة للرحمن وإخلاء الأخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد **(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَان)** أي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول

(١) سورة الأعراف آية رقم: ١٧٩.

(٢) سورة الرحمن آية رقم: ١ – ٦.

والأوقات وتُعلَم السنون والحساب (والنجم) أي النبات الذى ينجم أي يطلع من الأرض ولا ساق له (والشجر) أي الذى له ساق (يسجدان) أي ينقادان له – تعالى – فيما يريد بهما طبعاًانقياد الساجدين من المكلفين طوعاً. والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلاً على كمال قوة الارتباط المعنوي إذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره – تعالى– ولا إلى كون سجود النجم والشجر لما سواه –تعالى– كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان له وإخلاء الجملة الأولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إن كلاًّ من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله (ﷻ).."(١).

في هذا النموذج يبيِّنُ الإمام أبو السعود وجه تقديم نعمة تعليم القرآن على نعمة خلق الانسان معللاً ذلك بأن أمر تعليم القرآن أعظم النعم شأناً وأرفعها مكاناً حيث إنه مدار السعادة الدينية والدنيوية، وعلى ذلك فـ (علَّم) بمعنى "عرَّف" متعدية إلى مفعولين الأولُ محذوف قيل: تقديره: عَلَّم جبريلَ القرآن. وقيل: علَّم محمداً. وقيل: عَلَّم الإنسان. وهذا أَوْلَى لعُمومِه، ولأن قولَه: **(خَلَق الانسان)** دالٌّ عليه.

وهذا القول أوْلى من جعل (علَّم) هنا من "العلامة" والمعنى: جَعَله علامةً وآيةً يُعْتنى بها. إذ أمر التعليم أعظم من مجرد جعله علامة.

ثم يبين الإمامُ أبو السعود وجه إسناد تعليم القرآن إلى اسم الله **(الرحمن)** حيث إن ذلك من آثار الرحمة الواسعة، والتي تشمل نعم الدارين الدنيا والآخرة

(١) تفسير أبي السعود ٨ – ١٧٧.

على اعتبار أنَّ اسم الله **(الرحمن)** عام إذ يقال: يا رحمن الدنيا والآخرة (١)، ومن هنا تأتي علة الاقتصار على ذكره تنبيهاً على أصالته وجلالة قدره(٢).

ثم يبين الإمام أبو السعود وجه ارتباط جملتي **(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَان* وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان)** بما قبلهما، وكذلك وجه الارتباط بينهما فيذكر أنهما خبران للمبتدأ الواقع في أول السورة أي قوله تعالى: **(الرحمن)** وأنهما خلا من الارتباط اللفظي من نحو ضمير يوجد فيهما يعود على المبتدأ كأن يقال مثلاً: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَان منه، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان له، وإنما كان الأمر على ما ورد في الآيات لوجود الرابط المعنوي وهو الإسناد الواقع بين المسند إليه (المبتدأ) والْمُسْنَدِ (الخبر) إذ لا يتوهم ذهاب الوهم إلى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره –تعالى– ولا إلى كون سجود النجم والشجر لما سواه – تعالى–.

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٨–١٢٩. لـ/شهاب الدين أحمد بن محمد المصري ط/دار صادر– بيروت.

(٢) كأن الإمام أبا السعود يشير إلى **ثلاثة أمور:**

الأول: ملاحظة الفارق بين اسم الله (الرحمن) واسم الله (الرحيم) إذ الأول فيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا. وإلى هذا الفارق ذهب جمهور المحققين من العلماء كما ذكر الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره منهم: أبو عبيدة وابن جني والزجاج والزمخشري. . اعتماداً على أنَّ زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى). (ينظر: التحرير والتنوير ١ – ١٧١).

الثاني: أن اسم الله (الرحمن) من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره – تعالى–.

الثالث: أن اسم الرحمن هنا واقع موقع الكلمات التي يراد لفظها للتنبيه على غلط المشركين إذ أنكروا هذا الاسم قال تعالى: **(قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ)** [الفرقان ٦٠] فلعلَّ ذلك ما يعنيه الإمام أبو السعود بقوله: "الاقتصار على ذكره (أي اسم الله الرحمن) تنبيهاً على أصالته وجلالة قدره". [ينظر تفسير أبي السعود عند تفسيره للبسملة في أول فاتحة الكتاب ١–١١).

ثم يبين الإمام أبو السعود وجه خلو جملة **(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)** من العاطف فيذكر أن ذلك على منوال ما ذكر قبل، يقصد أن الجملة سيقت مع ما قبلها على نمط التعديد "كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذل، كثَّرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه؟ ومعنى ذلك أن كلَّ واحدة من المذكور نعمة مستقلة تقتضي الشكر. ففيه إيماء إلى تقصيرهم في أدائه"(١).

بعد ذلك يوضح الإمامُ أبو السعود وجه توسيط العاطف بين جملتي **(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)** وذلك لتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إنَّ كلاًّ من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله (ﷻ)، ومعنى هذا الكلام أنَّ بين الجملتين التوسط بين الكمالين مع التلاؤم؛ فهناك تقابل بين الشمس والقمر، وبين النجم والشجر ومع ذلك فإن هناك أمر يجمعهما وهو أنهما مظهران من مظاهر قدرة الرّبَ الخالق جلَّ وعلا.. كما أنالجملتين خبريتان لفظاً ومعنى.

وهكذا يسيرُ الإمام أبو السعود في كلِّ تفسيره المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم بهذا الأسلوب البلاغي الرصين، وبتلك المقدرة اللغوية التي تختصر المعاني الكثيرة في كلمات قليلة يحتاج تحليلها وبيانها إلى مؤلفات يعجز عنها هذا البحث المتواضع، ولكنِّي ما قصدت الحصر، وإنما تقريب الصورة، لمنهج هذا الإمام الكبير في تفسيره.

ولم يبق لي إلا أن أسطر بعض **نتائج هذا البحث:**

---

(١) ينظر: محاسن التأويل ٩ – ١٠٠. للإمام القاسمي ط / دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١ – ١٤١٨ هـ.

نتائج البحث

أولاً: يتميز تفسير الإرشاد بالألفاظ الجزلة، والبلاغة العالية.

ثانياً: استفاد الإمام أبو السعود من سابقيه من المفسرين وبخاصة الزمخشري والبيضاوي مع عدم الانخداع بما جاء في تفسير الزمخشري من اعتزال.

ثالثاً: جلُّ اهتمام الإمام أبي السعود في تفسيره هو الناحية البلاغية لكتاب الله –تعالى–

رابعاً: الانتباه واليقظة في معرفة الغث من السمين لما ينقله من إسرائيليات أو أحاديث.

خامساً: تمتع الإمام أبي السعود بمعرفة الكثير من شتى العلوم، وبخاصة، اللغة والبلاغة والفقه وأصوله وعلوم القرآن.. مكنته من إخراج هذا التفسير المتميز في بابه.

وبعد، ،

فتفسير الإرشاد يعد من لآلئ التفاسير، ودرة من درر المكتبة الإسلامية، ولا يزيد قارئه إلا فخراً بكتاب الله (ﷻ)، وإعظاماً لصاحب الرسالة محمد (ﷺ).

فإن كنت أصبت في عرض هذا المنهج – مع اعترافي بالتقصير وأنَّ هذا قطرة من بحر يصعب ولوجه – فالفضل كله لله (ﷻ)، وإن كانت ما لا أرجو فأحمده –تعالى– على المحاولة، وأستغفره –تعالى– لما وقع من زلل. وعلى الله قصد السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فرغ منه بتاريخ
الثامن من ربيع الثاني١٤٣٧ هـ
الموافق ١٨ / ١ / ٢٠١٦م

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

* الإتقان في علوم القرآن الإتقان في علوم القرآن. للإمام السيوطي. ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

* أحكام القرآن. لـ/ الإمام محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي. ط / دار الكتب العلمية، بيروت – ط: ٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

* أحكام القرآن. لـ/ أحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص. ط / دار الكتب العلمية بيروت – ط ١، ١٤١٥هـ –١٩٩٤م.

* الإحكام في أصول الأحكام. لـ/ علي بن محمد الآمدي أبو الحسن. ط / دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ تحقيق: د. سيد الجميلي.

* الأذكار. للإمام النووي، ط/ دار الفكر– بيروت –١٤١٤ هـ–١٩٩٤م.

*إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير الإمام أبي السعود). ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون.

* إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول. لـ/محمد بن علي الشوكاني– ط– دار الفكر/بيروت١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

* أسباب النزول للواحدي. ط/" دار الحرم للتراث – الأولى ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦.

* الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. للشيخ/أبي شهبة، ط/مكتبة السنة–القاهرة – ط–٤، ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م.

* الإسرائيليات في التفسير والحديث. لـ/أ. د/محمد حسين الذهبي– مكتبة وهبة– الرابعة١٤١١هـ –١٩٩٠م.

* أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون. لـ/ عبد اللطيف بن محمد الشهير بـ «رِياض زَادَه"الحنفي. ط/ دار الفكر– دمشق، ط/ ٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* الإشارة إلى الإيجاز. لـ/ سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام – ط / دار الحديث ـ القاهرة.

* الأصلان في علوم القرآن. لـ/ أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، ط/ الرابعة ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.

* أصول البحث العلمي ومناهجه د/ أحمد بدر –، ط/ دار القلم – بيروت – ط ٧ – ١٩٨٤م.

* الأعلام للزركلي. ط/ دار العلم للملايين، ط/١٥ – ٢٠٠٢ م.

* أنوار التنزيل وأسرار التأويل. لـ/ عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط/ دار إحياء التراث العربي– بيروت – ط/١– ١٤١٨هـ.

* الإيضاح في علوم البلاغة. لـ/الخطيب القزويني. ط/ دار إحياء العلوم – بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. للإمام محمد بن علي الشوكاني. ط/دار المعرفة – بيروت.

* البرهان في أصول الفقه، لـ/ الإمام الجويني. ط/الوفاء– المنصورة – مصر ـ ط ٤، ١٤١٨هـ.

* البرهان في علوم القرآن. لـ/ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. ط/ دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط ١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. لـ/ الإمام السيوطي، ط/ المكتبة العصرية – صيدا – لبنان.

* البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. لـ / عبد الرحمن حسن الميداني. ط/ دار القلم ـ دمشق ـ ط ١- ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

* تاريخ الدولة العلية العثمانية. لـ/ محمد فريد. ط/ دار النفائس، بيروت – لبنان،ط/١، ١٤٠١ هـ-١٩٨١م.

* التحرير والتنوير. لـ / الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

* تحفة المريد على جوهرة التوحيد. لـ/ الإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري. ط / الحلبي.

* تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري. لـ/ عبد الله بن يوسف الزيلعي، ط/ دار ابن خزيمة- الرياض- ط١-١٤١٤هـ.

* تفسير القرآن العظيم. لابن أبي حاتم. ط / بيروت – الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

* تفسير القرآن العظيم. لـ/أبي الفداء إسماعيل بن كثير. ط/دار الكتب العلمية – بيروت- ط/١- ١٤١٩هـ

* تفسير القرآن الكريم. للإمام محمود شلتوت. ط/ دار الشروق، الحادية عشرة ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

* التفسير والمفسرون" لـ/ أ. د محمد حسين الذهبي. مكتبة وهبة – القاهرة – ط٧-١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.

* تقريب التهذيب. لابن حجر العسقلاني، ط/ دار الرشيد – سوريا، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

* التيسير في القراءات السبع. لأبي عمرو الداني، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. لـ/ الثعالبي، ط/ دار المعارف – القاهرة – ط١، ١٩٦٥م.

* جامع البيان. لـ/ محمد بن جرير الطبري، ط/ مؤسسة الرسالة، ط: أولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

* الجامع لأحكام القرآن. لـ/ الإمام عبد الله بن محمد بن أحمد القرطبي. ط/ دار عالم الكتب، الرياض، السعودية – ط: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

* جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. لـ/ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي. ط/ المكتبة العصرية، بيروت. ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميلي.

*حاشية الشهاب على تفسير الإمام البيضاوي. لـ/شهاب الدين أحمد المصري ط/دار صادر– بيروت.

* حجة القراءات. لـ/ عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة" أبي زرعة" ط – مؤسسة الرسالة – بيروت / الثانية ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.

* حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري، على هامش شرح عقود الجمان للإمام السيوطي، ط / الحلبي.

* خزانة التراث – فهرس مخطوطات، قام بإصداره مركز الملك فيصل، المملكة العربية السعودية ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

*الدخيل في التفسير لـ/أ. د: إبراهيم عبد الرحمن خليفة. ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م بدون ذكر المطبعة.

* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. لـ / أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي. ط/ دار القلم، دمشق.

* الدر المنثور في التفسير بالمأثور. لـ/ الإمام السيوطي، ط/ دار الفكر – بيروت.

* دلائل الإعجاز. لـ/ عبد القاهر الجرجاني – مكتبة الخانجى – القاهرة – ط/ الثالثة ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.

* الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط. لـ/ علي محمد محمد الصلابي. ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة، مصر– ط١ – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م.

* دولة الإسلام في الأندلس. لـ/محمد عبد الله عنان. ط/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٤، ١٤١٧هـ –١٩٩٧م.

* ديوان امرئ القيس. ط/ دار المعرفة – بيروت – ط/ ٢، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

* الرسالة. للإمام الشافعي (ﷺ) ط/ مكتبة دار التراث ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لـ/ الإمام محمود الألوسي. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* السبعة في القراءات. لـ/ ابن مجاهد، ط/ دار المعارف – مصر – ط/ ٢، ١٤٠٠هـ.

*سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. لـ/ عبد الملك العصامي المكي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

* سنن أبي داود ـ ط / دار الفكر.

* سنن ابن ماجة. ط / دار الفكر – بيروت.

* سنن الترمذي ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر.

* سنن الدارمي، ط: دار الكتاب العربي – بيروت – ط، أولى، ١٤٠٧هـ.

* سنن النسائي. ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط ٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لـ/ابن العماد الحنبلي،ط/ دار ابن كثير– دمشق–١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

* شرح العقائد النسفية. لـ/ سعد الدين التفتازاني، ومعه كتاب العقائد النسفية لـ/ نجم الدين النسفي السمرقندي – ط – المكتبة الأزهرية للتراث – الأولى ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م.

* شرح النووي لصحيح مسلم. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط/ ٢، ١٣٩٢ هـ.

* شعب الإيمان للبيهقي. ط / دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.

* صحيح الإمام البخاري. ط / دار ابن كثير ـ بيروت ـ ط ٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م.

* صحيح الإمام مسلم بن الحجاج. ط / دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* الطبقات السنية في تراجم الحنفية. لـ/ تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي، ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م.

* طبقات المفسرين. لـ/أحمد بن محمد الأدنروي. ط/مكتبة العلوم والحكم–السعودية– ط/١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

* العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم لـ/ علي بن بالي، على ذيل كتاب الشقائق النعمانية لـ/ طاش كبرى زادة ط / دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

* علوم البلاغة. للشيخ أحمد مصطفى المراغي. ط/ مطبعة محمد محمد مطر بالعتبة ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م.

* فتح القدير. للإمام / محمد بن علي الشوكاني. ط/ دار ابن كثير، بيروت – ط/ ١ – ١٤١٤ هـ.

* الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي. لـ/ عبد الرؤوف المناوي. ط/دار العاصمة– الرياض.

* فتح المغيث شرح ألفية الحديث لـ الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.

* الفوائد البهية في تراجم الحنفية. لـ/ أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي. ط/ مطبعة دار السعادة – مصر – ط ١ ١٣٢٤ هـ.

* القاموس المحيط لـ/ الفيروز آبادي، ط/مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة/الثامنة، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

* الكامل في التاريخ، لابنالأثير، ط/دار الكتاب العربي، بيروت –الطبعة– الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لـ/ جار الله محمود بن عمر الزمخشري. ط / دار الكتاب العربي – بيروت – ط/٣– ١٤٠٧هـ.

* الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. لأبيمحمد مكي بن أبي طالب القيسي ــ ط/بيروت.

* الكليات. لأبى البقاء الكفوي. ط / مؤسسة الرسالة- بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

* الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة. لـ/ النجم الغزي. ط/ دار الكتب العلمية، بيروت - ط/ ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

* لباب التأويل في معاني التنزيل لـ/ علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - ط: ١ - ١٤١٥هـ).

* لباب النقول في أسباب النزول. لـ/ الإمام السيوطي، ط / دار الكتب العلمية بيروت.

* لسان العرب. لـ/ ابن منظور- ط- دار صادر- بيروت- الثالثة ١٤١٤هـ.

* مباحث في علوم القرآن. لـ/ صبحي الصالح، ط/ دار العلم للملايين، ط: ٢٤، ٢٠٠٠ م.

* مجمع الأمثال. لـ/ أبي الفضل النيسابوري، ط/ دار المعرفة- بيروت.

* محاسن التأويل. للإمام محمد جمال الدين بن محمد القاسمي. ط/دار الكتب العلمية - بيروت، ط١-١٤١٨هـ.

* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لـ/ عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١ - ١٤٢٢ هـ.

*المحصول في علم الأصول. لـ/ محمد بن عمر بن الحسين الرازي. ط / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض. الأولى، ١٤٠٠ هـ تحقيق: طه جابر فياض العلواني.

* مختصر المعاني. لـ/ سعد الدين التفتازاني. ط/دار الفكر، ط ١- ١٤١١هـ.

* مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. لـ/ أبي الحسن الهروي، ط/ دار الفكر، بيروت – لبنان. ط/١- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل. ط / مؤسسة الرسالة، ط / ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

* المستدرك على الصحيحين. للإمام الحاكم، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

* مصنف ابن أبي شيبة. ط/ مكتبة الرشد – الرياض، ط/ ١، ١٤٠٩هـ.

* المعجم الأوسط للطبراني. ط/ دار الحرمين- القاهرة، ١٤١٥هـ.

* المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية - مطبعة مصر - القاهرة ، ط ٣ - ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

* معجم المؤلفين" لـ/ عمر رضا كحالة. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

*معجم المطبوعات العربية والمعربة. لـ/ يوسف بن إليان بن موسى سركيس. ط/ مطبعة سركيس بمصر١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

* مقدمة في أصول التفسير. لـ/ الإمام ابن تيمية، ط/ دار مكتبة الحياة، بيروت -١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

* مقدمة ابن الصلاح مكتبة المتنبي.

* مناهج المفسرين. د/ عبد الغفور محمود مصطفى جعفر. الثانية يوليه ٢٠٠٤م بدون ذكر المطبعة.

* مناهل العرفان في علوم القران. للشيخ محمد عبد العظـــيم الزُّرْقـــاني. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة الثالثة بدون.

* الموافقات. لـــ/ إبراهيم بن موسى الشاطبي، ط / دار المعرفة – بيروت تحقيق: عبد الله درَّاز.

* نظم العقيان في أعيان الأعيان. لـــ/ الإمام السيوطي. ط/ المكتبة العلمية – بيروت.

فهرس عام

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الدراسات السابقة	٤
خطة البحث	٧
المبحث الأول **نبذة عن حياة الإمام أبي السعود**	٨
اسم الإمام أبي السعود، ونسبه ومولده	٨
رحلة الإمام أبي السعود في طلب العلم، وما تقلده من مناصب	١٠
عصرْ الإمام أبي السعود	١١
شيوخه، وتلاميذه	١٣
مؤلفاته العلمية	١٤
وفاة الإمام أبي السعود، وثناء العلماء عليه	١٦
المبحث الثاني **معنى المنهج من حيث اللغة والاصطلاح**	١٨
المبحث الثالث **منهج الإمام أبي السعود في تفسيره**	٢٥
المطلب الأول: علوم القرآن في تفسير الإرشاد	٢٥
رأي الإمام أبي السعود في الحروف المقطعة	٢٧

الناسخ والمنسوخ في تفسير الإرشاد	٣٥
أسباب النزول في تفسير الإرشاد	٤٣
المطلب الثاني: الفقه في تفسير الإرشاد	٥٠
المطلب الثالث: العقيدة في تفسير الإرشاد	٥٦
المطلب الرابع: الإسرائيليات وموقف الإمام أبي السعود منها	٦٤
المطلب الخامس: اللغة والبلاغة في تفسير الإمام أبي السعود	٧٠
نتائج البحث	٨٦
المصادر والمراجع	٨٧
فهرس الموضوعات	٩٧